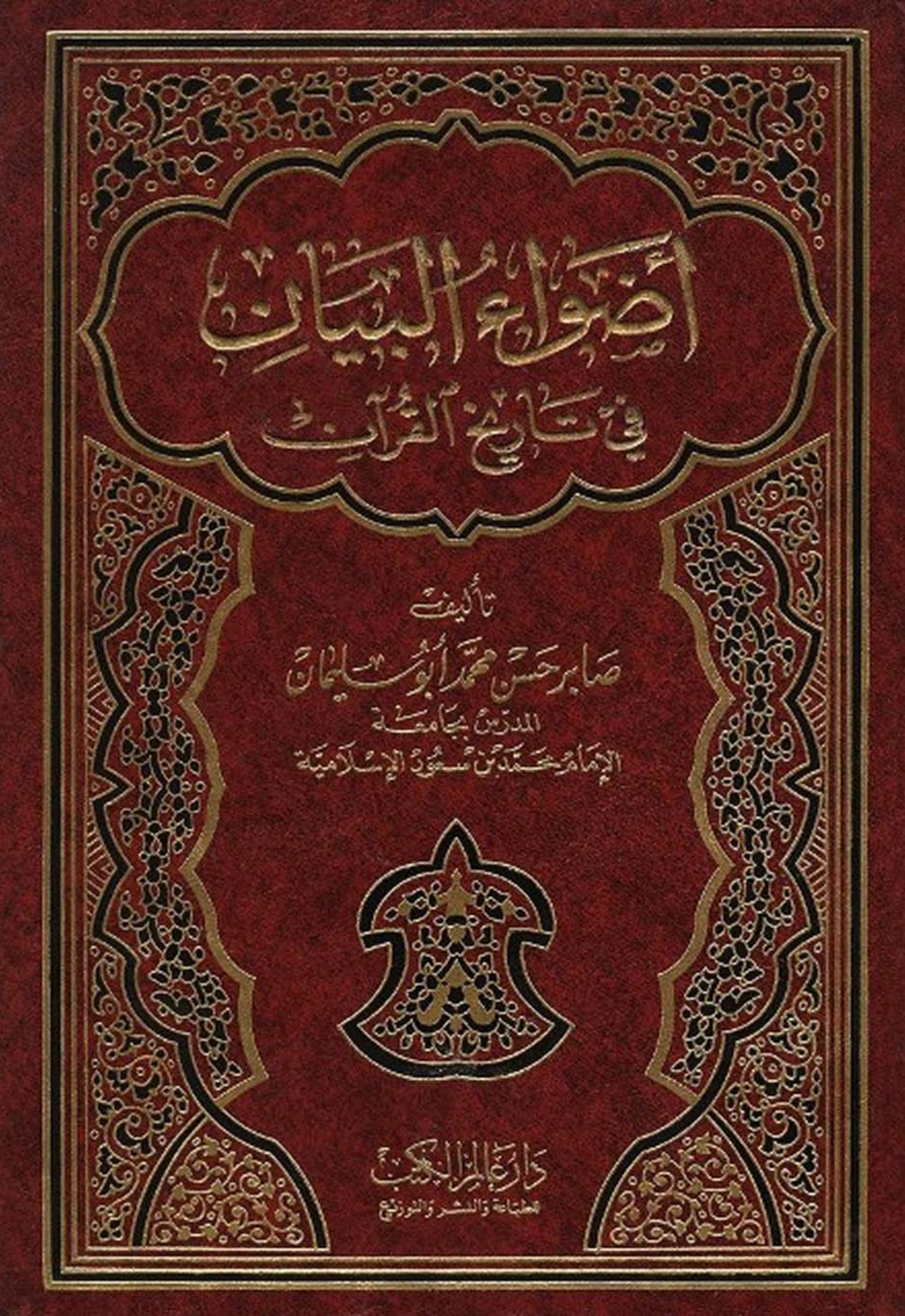

أضواء البيان
في تاريخ القرآن
تأليف
صابر حسن محمد أبو سليمان
المدرس بجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية
دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع


أضواء البيان
في تاريخ القرآن

ⓒ دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أبو سليمان، صابر حسن محمد

أضواء البيان في تاريخ القرآن

٢٣٩ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٧ - ٢٤ - ٨٤٠ - ٩٩٦٠

١ - علوم القرآن   ٢ - القرآن - تاريخ   أ - العنوان

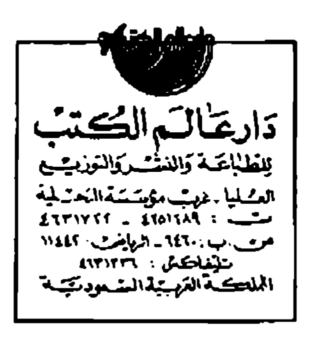
ديوي ٢٢٠   ٢١/٠١٠٣

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع: ٢١/٠١٠٣

ردمـــــك: ٧ - ٢٤ - ٨٤٠ - ٩٩٦٠



أضواء البيان
في تاريخ القرآن

تأليف
صابر حسن محمد أبو سليمان
المدرس بجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا كتابنا الموسوم بـ «أضواء البيان» في تاريخ القرآن، أقدمه لأبنائنا طلبة العلم وحملة القرآن، عسى الله أن ينفع به وأن يرزقه القبول، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في موازين أعمالي ـ يوم الدين، وأن يغفر لي ولوالديّ، ولمشايخي ولأصحاب الحقوق عليّ إنه على كل شيء قدير، وهو بالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير، غفرانك ربنا وإليك المصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



تمهيـــد[1]:

لعل أول ما يجدر بنا قبل الخوض فيما نحن بصدده من كيفية نزول القرآن الكريم، أن نعرض لتحديد كلمة (قرآن) في عرف اللغة، ثم نبين معناها الاصطلاحي. ونذكر خصائص القرآن الكريم بوصوله إلينا خالياً من التبديل والتغيير، والتحريف، والزيادة والنقصان، وقد أشار عليَّ بعض الزملاء ممن لا يسعني مخالفتهم بأن أُقسم هذا الكتاب إلى فصول وأبواب، وخاتمة لإتمام الفائدة المرجوَّة من ذلك.

وقد قمت بتلبية هذه الرغبة على الفور وقسّمت الكتاب إلى عشرة فصول وخاتمة.

الفصل الأول:

١ ـ القرآن بيان ومعجزة في آنٍ واحد.

٢ ـ لفظ (قرآن) في عرف اللغة.

٣ ـ القرآن الكريم في الاصطلاح.

٤ ـ خصائص القرآن.

٥ ـ الوحـي.

الفصل الثاني:

١ ـ جمع القرآن وكتابته.

---

(١) قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية تأليف الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة ص ٢١، ط: عالم الكتب ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

الفصل الثالث:

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الفصل السادس:

١ ـ أسباب النزول.

٢ ـ خصوص السبب وعموم الصيغة.

٣ ـ تنبيهات.

٤ ـ ما تكرر نزوله.

الفصل السابع:

١ ـ نزول القرآن على سبعة أحرف.

٢ ـ على كم معنى تشتمل هذه الأحرف السبعة؟.

٣ ـ هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟.

٤ ـ هل القراءات التي يقرأ بها اليوم في الأمصار جميع الأحرف السبعة أم بعضها؟.

الفصل الثامن:

١ ـ فوائد اختلاف القراءات.

٢ ـ أئمة القراءات السبع.

الفصل التاسع:

١ ـ الطرق الآخذون عن الرواة الثلاثة عشر أو الأربعة عشر.

٢ ـ تراجم الطرق.

الفصل العاشر:

١ ـ الأئمة الثلاثة المتممون للعشرة.

٢ ـ الطرق الآخذون عن رواة الأئمة الثلاثة المتممون للعشرة.

*** خاتمة.**



الفصل الأول

١ ـ القرآن بيان ومعجزة في آنٍ واحد.

٢ ـ لفظ (قرآن) في عرف اللغة.

٣ ـ القرآن الكريم في الاصطلاح.

٤ ـ خصائص القرآن الكريم.

٥ ـ الوحـي.



الفصل الأول

القرآن بيان ومعجزة في آن واحد

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى: أن تكون معجزة الرسالة الخاتمة أو الآية الدالة على صدق الرسول في التبليغ عن ربه هي القرآن الذي جمع بين البيان الواضح، والإعجاز القاطع لحجة المعاندين والجاحدين وذلك ليتهيأ استمرار التبليغ بعد الرسول ﷺ، واستمرار وسائل الإقناع على مرّ الزمن.

وعلى هذا لم يكن دليل إعجاز القرآن قاصراً على الإعجاز البياني كما كان في عصر النزول بل كان جامعاً لعدد هائل من دلائل الإعجاز بحيث يواجه كل العصور، وجميع نواحي النشاط الإنساني في تفوق معجز يجذب إلى دعوته المزيد من الأجيال.

أقول إن أئمة الكفر أنفسهم شعروا بسلطانه على القلوب ـ وهو القدر المتاح لهم لإدراك إعجازه البياني ـ فقالوا لأتباعهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ وذلك خوفاً من سريان الروح التي شعر بها الوليد ابن المغيرة حين قال: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو، ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته» وهو نفس الإعجاز الذي أدرك منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجهاً يناسبه ـ حينما ـ سمع القرآن في بيت أخته فتهاوى صرح الشرك من قلبه وشمخ صرح الإيمان في كيانه، ومن هذه الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم وتلك الهيبة التي تعتريهم عند تلاوته، أسلم جماعة من كفار العرب عند سماعهم آياته منهم جبير بن مطعم، فإنه سمع النبي ﷺ، يقرأ في المغرب بالطور وقال: فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ إلى ﴿الْمُصَيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإسلام

في قلبي[1]، إلى غير ذلك مما هو معلوم لنا في تاريخ دعوة الإسلام.

لقد صحح القرآن كثيراً من النظريات العلمية التي كانت سائدة في عصر التنزيل وسجّل في مكان تلك النظريات حقائق ثابتة لا تقبل التبديل ولا التغيير، فكان ذلك إلى جانب استعمال القرآن للحقائق الكونية في الدعوة إلى الخالق الحكيم المبدع تحدياً للعقل البشري بإحقاق الحق مكان الباطل على يد رسول أميّ ما كان يتلو كتاباً ولا يخطه بيمينه.

وصدق الله تعالى الذي تحدى العالم كله في كل العصور في معرض الدلالة على وحدانيته وتفرده بالسلطان، وذلك حينما قرر قيام دولة الإسلام، وأرسى قواعدها على الأرض، وعجز كل القوى العالمية عن أن تقضي على مجدها فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[2].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾[3] ومؤامرات العالم على الإسلام وصموده شامخاً أمام المؤامرات بل واتساع سلطانه على القلوب أعظم دليل وأصدق برهان على اتساع مدى الإعجاز القرآني إلى جانب إقناع البيان، وتجاوز هذا الإعجاز نطاق البلاغة والفصاحة، إلى أبعد حدّ، وتصحيح النظريات العلمية، والتنبؤ بالمستقبل إلى نطاق السياسة والاجتماع والعلوم التجريبية كُلّها. أما والرسول الأعظم يأبى أن تكون الشمس في يمينه والقمر في يساره إلا أن يظهر دين الله»[4].

فالأمر إذاً فوق جودة الأسلوب ـ وفوق كل الاعتبارات. وذلك هو:

---

(١) انظر أسرار التكرار لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ص ٢٤٦ ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا: دار الاعتصام ـ الطبعة الثالثة ـ سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م.

(٢) سورة النور: الآية (٥٥).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٣٦).

(٤) نفس المصدر السابق ص ٢٣٦ وما بعدها.

إذعان العرب عاجزين، أو انقيادهم مختارين إلى تلك العظمة القرآنية التي تفوق مقاييس العظمة الأسلوبية المتعارفة آنذاك وكانت ناقة صالح، وعصا موسى وبقية آياته التسع، وإحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام آياتٍ مؤيداتٍ لبيان اللسان وحجة العقل وتحدياً صارخاً لأهل العناد بأن قوة عُظمى تحكم الكون غير قوة المادة[1].

كما تحدى موسى سحر قومه بعصاه، وعيسى طب عصره بإحياء الموتى وآمن الكثيرون حينما تأملوا وتدبروا وعاينوا المعجزة بالقلوب.

فالإعجاز على أي حال هو - وسيلة إيمان لمن هداه الله ووسيلة إضلال لمن أضله الله.

من هنا كان وجه من وجوه عظمة القرآن هو:

أن يجمع بين البيان والإعجاز فلا تكون الآية الدالة على صدق الرسول منفصلة عن البيان كما كان ذلك في رسالة موسى وعيسى عليهما السلام. إذ كانت آيات موسى التسع، وإحياء المسيح للموتى شيئاً منفصلاً تماماً عن صلب التوراة والإنجيل.

أما القرآن العظيم فلما كان مصدقاً للتوراة والإنجيل ومهيمناً عليهما، وجامعاً لحقائقهما. فقد اجتمع في صلبه البلاغ المبين والإعجاز القائم مدى الدهر، وما ذاك إلاّ لأنه كتاب لم ينزل لهداية العرب خاصة وإنما نزل لهداية البشرية كلها في عصر الرسول وبعد عصره وإلى أن تقوم الساعة. فلو انفصلت آية صدق الرسول عن نفس القرآن كما حدث في الرسالات السابقة فمن ذا الذي كان يأتي الناس بهذه الآية التي هي المعجزة بمعناها الاصطلاحي الآن؟ يعني أنه إذا ارتاب قوم في صدق النبي ﷺ، في عصرنا الحاضر فمن أين نأتي بالرسول ليطالبوه بمعجزة مادية تدل على صدقه؟ ولهذا كان القرآن نفسه بياناً ومعجزة في آنٍ واحد ولم تكن مادة إعجازه شيئاً واحداً بحيث لا تلائم إلاّ عصراً واحداً، أو مجموعة من الأجيال بأعينها

(١) نفس المصدر السابق.

بل كانت مواد إعجازه كامنة في أطوائه، وكلما تقدم المنكرون الجاحدون في العلم المادي انكشف من وجوه إعجازه وجه يقمع ضلالات الكفر، ويهدي إليه الألوف المؤلفة في كل عصر. وهو ما نشهده الآن وقبل الآن، وما تشهده الأجيال بعد الآن بإذن الله. وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذا المعنى في حديث أخرجه البخاري عنه قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً»[1].

قالوا في معناه: إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن باقية إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات ثابت، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون، ليدل على صحة دعواه.

والمعجزات كانت حسية تشاهد بالأبصار، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه فيها أكثر، فما يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهديه، وما يشاهد بعين العقل باقٍ يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً ومن هنا كان اشتمالا لقرآن للبيان والإعجاز معاً في وقت واحد دليلاً على صدقه وعالمية رسالته[2].

---

(١) أخرجه البخاري جـ ٩ ص ٥ فتح الباري/ أخرجه مسلم جـ ٢ ص ٣٤ النووي.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٣٨.

لفظ (قرآن) في عرف اللغة العربية

لعلماء المسلمين في تحقيق لفظ (قرآن) في اللغة أقوال، فالمروي عن الشافعي[1] وبه قال جماعة أنه اسم علم غير مشتق خاص بهذا الكلام المنزل على النبي المرسل ﷺ «وهو معرّف» غير مهموز عنده كما حكاه عنه البيهقي[2] والخطيب[3] وغيرهما.

والمنقول عن الأشعري[4] وأقوام: أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه وسمي به عندهم لقران السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض.

وقال الفراء[5]: وهو مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً، ويشبه بعضها بعضاً، وهو على هذين القولين بلا همز أيضاً ونونه أصلية[6].

وقال الزجاج هذا القول سهو والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها. واختلف القائلون بأنه

---

(١) الشافعي: هو الإمام عبد الله بن إدريس الشافعي توفي سنة ٢٠٤هـ ـ ابن خلكان ٣/ ٣٠٧ تحقيق محي الدين ط ٩ سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨ م نشر مكتبة النهضة ـ مكتبة السعادة.

(٢) البيهقي: هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن موسى، البيهقي الحافظ الكبير المشهور المتوفى سنة ٤٥٨هـ ـ ابن خلكان ١/ ٥٨.

(٣) الخطيب: هو الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المعروف بالخطيب المتوفى سنة ٤٦٣هـ ـ ابن خلكان ١/ ٧٦.

(٤) الأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المتكلم، المتوفى نحو ٣٣٠هـ ـ ابن خلكان ٢/ ٤٤٦.

(٥) الفراء: غني عن التعريف.

(٦) روح المعاني للألوسي ١/ ١١ بتحقيق محمد زهري النجار ـ نشر الحلبي ـ ط ١٩٦٤ م ـ ١٣٨٣هـ.

مهموز، فقال قوم منهم اللحياني هو مصدر لقراءات كالرجحان والغفران، سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر.

وقال آخرون منهم الزجاج: هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض أي جمعته.

وقال أبو عبيدة وسمي بذلك، لأن جميع السور بعضها إلى بعض، وقال الراغب: لا يقال لكل جمع قرآن، ولا لجمع كل كلام قرآن، وقال إنما سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة. وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها.

وحكى قطرب[1] قولاً: أنه إنما سمي قرآناً لأن القارىء يظهره ويبينه من فيه أخذاً من قول العرب: ما قرأت الناقة سلاقط، أي ما رمت بولدٍ، أي ما أسقطت ولداً أي: ما حملت قط، والقرآن يلفظه القارىء من فيه ويلقيه فسمي قرآناً.

وجاء أيضاً في لسان العرب: وفيه قول آخر لم تقرأ جنيناً أي لم تقله، ومعنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعاً أي ألقيته.

وقد تأثر أحد الباحثين المحدثين[2] ببحوث المستشرقين في اللغة العربية، فذكر أن العرب قد عرفوا لفظ (قرأ) بمعنى غير معنى التلاوة.

أما (قرأ) بمعنى (تلا) فقد أخذها العرب من أصل آرامي وتداولوها.

ثم يقول: ومهما يكن من شيء، فإن تداول العرب قبل الإسلام للفظ (قرأ) الآرامي الأصل بمعنى (تلا) كان كافياً لتعريبه واستعمال الإسلام في تسمية كتابه الكريم[3].

ولكن ما حكي عن قطرب وما ورد في لسان العرب، يقلِّلُ من شأن هذا الرأي، لأنه يوحي باستعمالات العرب لمادة (قرأ) فيه معنى (تلا) على أن البحث في أخذ اللغات من بعضها وأيها أخذت من أختها خاصة في

---

(١) دكتور صبحي الصالح في كتابه «مباحث في علوم القرآن (ص ١٩) الطبعة التاسعة ط: دار العلم للملايين - بيروت - كانون الثاني (يناير) سنة الطبع ١٩٧٧ م.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه ص ١١، ١٢ ط. الجامعة السّورية - دمشق ١٩٥٨ م.

العصر القديم، لم ينته الباحثون فيه ـ حتى الآن ـ إلى رأي قاطع، فلا يصح بناء الفروض والاحتمالات عليه.

وكما اختلفت آراء العلماء حول تحقيق لفظ (قرآن) وذكروا في ذلك أقوالاً اختلفوا أيضاً في المختار منها.

نرى الإمام السيوطي، في الإتقان يختار رأي الإمام الشافعي. يأتي الألوسي. ويرده قائلاً: إن هذا الرأي من السيوطي محض تقليد لإمام مذهبه حيث لم يذكر الدليل، ولم يوضح السبيل. ويرى: أنه في الأصل وصف أو مصدر كما قال الزجاج واللحياني، ولكنه نقل وجعل علماً شخصياً.

كما ذهب إليه الشافعي ومحققو الأصوليين.

ورأى اللحياني ومن حذا حذوه أشهر الآراء وقد تابعه لفيف من العلماء. واختاره صاحب مناهل العرفان إذ يقول: «لفظ قرآن» وهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ[1] فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[2].

ثم نقل من هذا المعنى المصدري، وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي عليه الصلاة والسلام، من باب إطلاق المصدر على مفعوله. وهو المختار استناداً إلى موارد اللغة، وقوانين الاشتقاق، وإليه ذهب اللحياني وجماعة.

أما القول بأنه وصف من القرء بمعني الجمع، أو أنه مشتق من القرائن، أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء، أو أنه مرتجل أي: أنه موضوع من أول الأمر علماً على الكلام المعجز المنزل، غير مهموز، ولا مجرّد من «أل» «فكل أولئك لا يظهر له وجه مضيء ولا يخلو توجيه بعضه من كُلْفَة، وبعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة».

وبناء عليه فلفظ «القرآن» مهموز وإذا حذف همزه فإنما ذلك لإرادة التخفيف، وإذا أدخلت عليه «أل» بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف.

---

(١)(٢) سورة القيامة: الآيتان (١٧، ١٨).

القرآن الكريم في الاصطلاح

ولما كان لفظ القرآن بهذا المعنى الذي سبق جزئياً[1] - فقد اختلف العلماء في جواز تعريفه، لأن التعريفات لا تكون إلا للكليات، ومنهم من أجازوهم الفقهاء[2]، ومنهم من عرفه لتقريب معناه فحسب[3]، وعلى أية حال فقد قالوا في تعريفه هو كلام الله المعجز المنزل على محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته.

وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية ويشاركهم فيه المتكلمون[4] أيضاً (فالكلام) جنس شامل لكل كلام، وإضافته، إلى (الله) تميزه عن كلام من سواه من الإنس والجن والملائكة.

و (المنزل) مخرج للكلام الإلّهي الذي استأثر الله به[5] في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته، ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر، إذ ليس كل كلامه تعالى منزلاً، بل الذي أنزل منه قليل من كثير، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[6].

---

(١) النبأ العظيم ص ٩ - مكتبة السعادة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠ م.

(٢) مناهل العرفان ١/ ١٤، ١٥.

(٣) النبأ العظيم ٩.

(٤) مناهل العرفان ١/ ١٢.

(٥) انظر قضية الإعجاز القرآني للدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة - ص ٢٦ وما بعدها. ط: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

(٦) سورة الكهف: الآية (١٠٩).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ...﴾[1].

ويقيد المنزل بكونه (على محمد) لإخراج ما أنزل على الأنبياء من قبله، كالتوراة المنزَّلة على موسى، والإنجيل المنزَّل على عيسى، والزبور المنزَّل على داوود، والصحف المنزَّلة على إبراهيم عليهم السلام، وخرج (بالمنقول بالتواتر) جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة، والقراءات غير المتواترة سواء أكانت مدرجة نحو قراءة ابن مسعود (متتابعات) عقب قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾[2]، أم كانت أحادية كقراءة ابن مسعود أيضاً لفظ (متتابعات) عقب قوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[3]، فإن شيئاً من ذلك لا يسمى قرآناً ولا يأخذ حكمه.

وقيد (المتعبد بتلاوته) ـ أي المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، لإخراج ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك، كالقراءات المنقولة إلينا بطريق الآحاد، وكالأحاديث القدسية، وهي المسندة إلى الله عز وجل إن قلنا: إنها منزلة من عند الله بألفاظها[4].

---

(١) سورة لقمان: الآية (٢٧).

(٢) سورة المائدة: الآية (٨٩).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٨٥).

(٤) انظر النبأ العظيم ٩، ١٠، ومناهل العرفان ١/ ١٢.

خصائص القرآن(1)

القرآن الكريم كتاب ختم الله به الكتب، وأنزله الله على نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء برسالة خالدة ختم بها الرسالات.

فهو المعجز ببديع نظمه وحسن تأليفه، وهو حجة الله لنبيه، والآية الكبرى الدالة على نبوّته.

وهو حبل الله المتين، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، من قال به صدق، ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم(2).

لقد امتاز القرآن العظيم عن بقية الكتب السماوية بوصوله إلينا بعد تنقله عبر أربعة عشر قرناً من الزمان أو ما يزيد ـ خالياً من النقصان، وذلك بالعناية التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية أسوة بمعلمها الأول محمد ﷺ، وتحقيقاً لوعد الله عز وجل حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(3)، وعد الله بحفظ هذا الكتاب، وقد أنجز وعده، لم تطل إليه يد عدو مقاتل، ولا يد محب جاهل فبقي كما نزل، لا يضره عمل الفريقين في تفسيره وتأويله، فذلك مما لا يلتصق به فهو لا يزال بين دفّات المصاحف طاهراً نقياً بريئاً من الاختلاف والاضطراب، وهو إمام المتقين، ومستودع الدين، وإليه المرجع إذا اشتد الأمر وعظُم الخطب وسئمت

---

(1) نفس المصدر السابق ص ٢٨ وما بعدها.

(2) تفسير الكشاف ٢٠٣/١ ط ٢ نشر التجارية ـ ط: الاستقامة ١٩٥٣م ـ القاهرة ـ تصحيح مصطفى حسن أحمد.

(3) سورة الحجر: الآية (٩).

النفوس من التخبط في الضلالات. ولا يزال لأشعة نوره نفوذ من تلك الحجب التي أقاموها دونه، ولا بد أن تتمزق كلها بأيدي أنصاره، فينبلج ضياؤه لأعين أوليائه «فلم يصبه ما أصاب الكتب السماوية الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وَكَلَهَا إلى حفظ الناس» فقال تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1]، أي بما طلب إليهم حفظه.

وقد نقل المسلمون كافة من لدن أصحاب رسول الله ﷺ، إلى وقتنا هذا خلفاً عن سلف، وآخراً عن أول نقلاً مستفيضاً منتشراً متواتراً ـ أن ما بين الدفتين هو (القرآن الكريم) الذي أنزله الله عز وجل ـ على رسوله الكريم، وهو جميع ما أراد الله عز وجل بقاءه في هذه الأمة، ليكون معجزة لنبيه ﷺ»، ودلالة صدق على دعوته، لا زيادة فيه ولا نقصان منه، وهم قوم لا يجوز عليهم الإجماع على نقل ما لا أصل له، ولا التواطؤ على الإخبار عن باطل، ولا على كتمان ما شهدوه لكثرتهم وخروجهم عن الحصر.

فلن يتشكك أحد، ولا يجوز أن يتشكك، في أنه ﷺ، أتى بهذا القرآن من عند الله[2]، وتاريخ القرآن مرآة صافية، ودلالة صدق على ذلك، نعرض بإيجاز شديد، ليحق الحق، ويبطل الباطل.

---

(١) سورة المائدة: الآية (٤٤).

(٢) إعجاز القرآن للبقلاني ص ٤١، ٤٢ تحقيق خفاجي ـ ط١ ـ سنة ١٩٥١م ط: صبيح.

الوحـــي(*)

معنى الوحي في اللغة: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره، ويدخل تحت ذلك أنواع عديدة من الإعلام هي:

١ - الإلهام الغريزي، كالوحي إلى النحل في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[1].

٢ - إلهام الخواطر، بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الرُّوح كالوحي إلى أم موسى في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[2].

٣ - وسوسة الشيطان وتزيينه خواطر الشر للإنسان في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[3].

ووحي الله تبارك وتعالى إلى أنبيائه قد رُوعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة: وهما الخفاء والسرعة.

الوحي في الشرع: تكليم الله سبحانه واحداً من عباده بطريقة من طرق الوحي.

(*) انظر مورد الظمآن في علوم القرآن - تأليف صابر حسن محمد أبو سليمان - ص ٩ ما بعدها.

(١) سورة النحل: الآية (٦٨).

(٢) سورة القصص: الآية (٦).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١١٢).

أنواعه هي:

١ ـ تنزيل الكتب السماوية بواسطة ملك الوحي.

٢ ـ إلقاء المعنى في قلب النبي أو نفثه في روعه كما قال ﷺ: «إن روح القدس نفث في رُوعي» أخرجه الحاكم.

٣ ـ تكليم النبي من وراء حجاب.

٤ ـ هي التي متى أطلقت انصرفت إلى ما يفهم عادة من لفظ «الإيحاء» وقد صرحت الآية بثلاثة أنواع من الوحي قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1].

كيفياته هي:

١ ـ أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس كما في الصحيح وفي مسند أحمد عن عبد الله بن عمر: «سألت النبي ﷺ هل تحسّ بالوحي؟ فقال: أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرّة يُوحى إليّ إلاّ ظننت أن نفسي تقبض». قال الخطابي: والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتثبّته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. وقيل: هو صوت خفق أجنحة الملَك. والحكمة في تقدمه أن يفرغ سمعه للوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره وفي الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه. وقيل: إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد.

٢ ـ أن ينفث في روعه الكلام نفثاً كما قال ﷺ: «إن روح القدس نفث في رُوعي» أخرجه الحاكم.

وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى، أو التي بعدها بأنه يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في روعه.

---

(١) سورة الشورى: الآية (٥١).

٣ - أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه كما في الصحيح: «وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول».

زاد أبو عوانة في صحيحه: «وهو أهونه عليّ».

٤ - أن يأتيه الملك في النوم وعدّ قوم من هذا سورة الكوثر وقد تقدم ما فيه.

٥ - أن يكلمه الله إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء، أو في النوم كما في حديث معاذ: «أتاني ربي فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى..؟» الحديث، وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم. نعم يمكن أن يُعدَّ منه آخر سورة البقرة لما تقدم وبعض سورة والضحى، وألم نشرح، فقد أخرج ابن أبي حاتم من حديث عليّ بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته، قلت: أي رب، اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، فقال: يا محمد ألم أجدك يتيماً فآويت، وضالاً فهديت، وعائلاً فأغنيت، وشرحت لك صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أُذكر إلاّ ذُكِرْتَ معي»؟.

وعلى هذا النمط رسم النبيّ الكريم فيما صح من حديثه طريقة نزول الوحي على قلبه، فقال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول».

فكشف النقاب صراحة عن صورتين من صور الوحي:

أحدهما: عن طريق إلقاء القول الثقيل على قلبه، ولديه يسمع صوتاً متعاقباً متداركاً كصوت الجرس المصلصل المجلجل.

والثانية: عن طريق تمثل جبريل له بصورة إنسان يشاكله في المظهر ولا ينافره، ويطمئنه بالقول ولا يرعبه، وما من شكّ في أن الصورة الأولى أشد وطأً وأثقل قولاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[1]، حتى كان يصحب الوحي فيها رشح الجبين عرقاً، كما قالت السيدة عائشة

(١) سورة المزمل: الآية (٥).

أم المؤمنين: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم[1] عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً» بل كانت وطأة الوحي في هذه الصورة تبلغ أحياناً من الشدة والثقل حدّاً يجعل «راحلته تبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها ولقد جاءه مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليه حتى كادت ترضُّها»[2].

أما الصورة الثانية فهي أخف وطأً وألطف وقعاً، فلا أصوات تجلجل، ولا جبين يرشح، بل تشابه كُلِّي بين الملقي والمتلقي، يُيسِّر الأمر في الوقت نفسه على ناقل الوحي الأمين وعلى النبي الكريم وفي كلتا الصورتين يحرص النبي ﷺ على وعي ما أوحى إليه إذْ قال في المرة الأولى: فيفصم عني وقد وَعَيتُ ما قال، وفي الثانية: «فيكلمني فأعي ما يقول»، فأثبت لنفسه الوعي الكامل لحالته قبل الوحي، وحالته بعد الوحي، وحالته أثناء الوحي سواء أخفّت وطأة النازل القرآني عليه، أم اشتدّت وبهذا الوعي الكامل لم يخلط عليه السلام مرّة واحدة ـ طيلة العصر القرآني الذي يضم كل مراحل التنزيل ـ بين شخصية الإنسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحي الآمرة المتعالية، فهو واعٍ أنه إنسان ضعيف بين يدي ربّه يخشى أن يحول الله بينه وبين قلبه، ويبتهل إلى ربه في دعائه المأثور: «اللهم يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك، اللهم يا مقلِّب القلوب ثبّت قلبي على دينك».

بل كان أول عهده بالوحي ـ مخافة ضياع بعض الآيات من صدره يعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليه وحيه، ويحرّك به لسانه وشفتيه ليستذكره ولا ينساه ويحرص على متابعة جبريل في كل حرفٍ يدارسه إياه حتى يسّر الله عليه حفظه بتفريقه وتنجيمه، وأمره بالاطمئنان إلى وعده فقال عزّ من قائل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[3]، ونهاه عن هذه العجلة

---

(١) ينكشف وينجلي.

(٢) انظر مورد الظمآن في علوم القرآن تأليف صابر حسن محمد أبو سليمان ص ١١ وما بعدها.

(٣) سورة القيامة: الآيات (١٦، ١٧، ١٨، ١٩).

التي لا مبرِّر لها فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[١].

ومن يتلُ الآيات القرآنية التي تصوِّر رسول الله إنساناً ضعيفاً بين يدي الله، يستمد منه العون، ويستهديه ويستغفره، ويصدع بما يؤمر به وأحياناً يتلقى العتاب الشديد يجد في أعماق قلبه من الفيض الوجداني ما يحمله على الاقتناع بالفرق الذي لا يتناهى بين صفة الخالق وصفة المخلوق.

إن صور محمد ﷺ في القرآن هي صورة العبد المطيع الذي يخاف عذاب ربّه إن عصاه، لذا يلتزم حدوده، ويرجو رحمته، ويعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرفٍ من كتاب الله قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ[٢] * قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣]، إلى غير ذلك من النصوص القرآنية التي تصور محمداً ﷺ بأنه لا دخل له في الوحي، فلا يصوغه بلفظه، ولا يلقيه بكلامه، وإنما يلقى إليه الخطاب إلقاء، فهو مخاطب لا متكلِّم، حاكٍ ما يسمعه لا معبِّر عن شيء يجول في خاطره.

وقد نهى عليه السلام أول العهد بنزول القرآن عن تدوين شيء سوى القرآن[٤] لكي يحفظ للقرآن صفته الربانية ويحول دون اختلاطه بشيء ليست له هذه الصفة القدسية، بينما كان عند نزول الوحي ـ ولو آية أو بعض آية ـ يدعو أحد الكتبة فوراً ليدوِّن ما نزل من القرآن.

فها هو ذا النبي عليه السلام مقتنعاً ـ من خلال ما سبق ـ بأن التنزيل القرآني مصحوب بانمحاء إرادته الشخصية، وانسلاخه من الطبيعة البشرية

---

(١) سورة طه: الآية (١١٤).

(٢)(٣) سورة يونس: الآيتان (١٥، ١٦).

(٤) في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمِّداً فليتبوأ مقعده من النار.

حتى ما بقي له عليه السلام اختيار فيما ينزل عليه أو ينقطع عنه، فقد يتتابع الوحي ويحمى حتى يكثر عليه، وقد يفتر عنه أحوج ما يكون إليه.

ثم هاهو ذا الوحي ينقطع عن النبي وهو أشدّ ما يكون إليه شوقاً، وله طلباً فبعد أن نزل عليه جبريل بأوائل سورة العلق: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ فتر الوحي ثلاث سنين، فحزن النبيُّ ـ كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين ـ حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدَّى له جبريل فقال: يا محمد أنت رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه، وبينا هو ماشٍ ذات يوم إذ سمع صوتاً من السماء فرفع بصره، فإذا الملك الذي جاءه بحراء فرعب منه فرجع إلى زوجته الوفيّة خديجة يقول: زمِّلوني، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾، فمي الوحي وتتابع واستبشر النبيّ وتبدّل انتظاره الحزين فرحة غامرة، وأيقن أن هذا الوحي الذي استعصى عليه ولم يوافه طوع إرادته مستقل عن ذاته خارج عن إرادته، فاستقر في ضميره الواعي.

إن مصدر هذا الوحي هو الله علام الغيوب. وفي الصحيحين: أن الوحي فاجأه وهو يقظ يلتمس الحقيقة ويبحث عن الله، ولذلك رعب وجاء خديجة يرجف فؤاده. ولو وقع له هذا في المنام كما ذهب إليه بعض المفسّرين لزال خوفه ورعبه بعد اليقظة. فلأمر ما قال القرآن: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۞ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾.

بهذه الحساسية الواعية المرهفة صورت السيدة عائشة بدء الوحي فقالت:

«أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه[1] الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله يتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ـ وصار على هذا النمط ـ حتى جاءه الحق، وفي رواية: «فجأه الحق» ـ وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: «اقرأ، فقال: ما أنا بقارىء».

---

(١) يتحنث أي يتعبد.

قال: فأخذني فغطّني - أي ضمَّني وعصرني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: «اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء».

فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء».

فأخذني فغطّني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زمّلوني، زمّلوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر «لقد خشيت على نفسي».

فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ومن الجدير بالذكر هنا أن رجفة فؤاده عليه السلام تشير إلى الرعب الذي اعتراه لأن الوحي نزل عليه فجأة ولم يكن يتوقعه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[2].

وإنني وإن كنت قد أسهبت في تفسير ظاهرة الوحي لأنها توطئة بين يدي الدراسة القرآنية وخلاصة ما يمكن أن نذكره في ظاهرة الوحي ما يأتي:

١ - أنها حالة غير اختيارية.

٢ - هي أمر طارىء غير عادي.

٣ - وهي قوة خارجية لأنها لا تتصل بنفس النبي ﷺ إلاَّ حيناً بعد حين.

٤ - هي قوة عالمة: لأنها توحي إليه عِلْماً.

---

(١) سورة القصص: الآية (٨٦).

(٢) سورة الشورى: الآية (٥٢).

الفصل الثاني

١ ـ جمع القرآن وكتابته.

٢ ـ جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد الرسول.

٣ ـ جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

٤ ـ جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد عثمان رضي الله عنه.

٥ ـ تنبيـه.



الفصل الثاني

جمـــع القـــرآن وكتابته

جمع القرآن له معنيان:

المعنى الأولى: حفظه واستظهاره في لوح القلب.

المعنى الثاني: كتابته.

فأما الجمع بمعنى حفظه واستظهاره في لوح القلب، فكان النبي عليه السلام إمام الحفاظ وسيِّدهم، مهتماً بحفظه واستظهاره وبقراءته على الناس على مكث ليحفظوه ويستظهروه.

وقد بلغ من شدة حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن الكريم أنه كان يحرك لسانه به في أشدّ حالات حرجه وشدته، وهو يعاني ما يعانيه من الوحي وسطوته، حتى طمأنه ربه بأن وعده أن يجمعه له في صدره، وأن يسهل له قراءة لفظه وفهم معناه، فقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ[1] إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ[2] فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[4].

---

(١)(٢)(٣) سورة القيامة: الآيات (١٦، ١٧، ١٨).

(٤) سورة طه: الآية (١١٤).

وقد تنافس الصحابة رضوان الله عليهم في حفظه واستظهاره، وكان النبي عليه السلام يشجعهم ويحضهم على ذلك.

وأما جمعه بمعنى كتابته: فقد حدث في الصدر الأول ثلاث مرات:

الأولى: في عهد النبي ﷺ.

والثانية: في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

والثالثة: في عهد عثمان رضي الله عنه.

جمـــع القـــــرآن
بمعنى كتابته في عهد الرسول ﷺ

اتخذ النبي ﷺ كتاباً للوحي أمناء فيهم الخلفاء الأربعة ومعاوية وزيد ابن ثابت، وأُبيّ بن كعب، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وغيرهم.

وكان النبي عليه السلام إذا نزلت آية دعا بعض من يكتب فيأمره بكتابتها، ويقول: «ضعوا هذه في سورة كذا»[1]، وكان من المبالغة في حفظه أن قال عليه السلام: «من كتب عني غير القرآن فليمحه»[2]، ولكنه لم يُجمع في عهده ﷺ كتابة في مصحف واحد، بل كان صحفاً منثورة من عسب[3] ولخاف[4] وكرانيف[5]، وأضلاع وأكتاف ورقاع لا يند عنها شيء من القرآن، ولكنها لم يربطها خيط بين دفتين.

يقول صاحب البرهان: «فثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي ﷺ» وإنما ترك جمعه في مصحف واحد، لأن النسخ كان يرد على بعض، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى ذلك إلى الاختلاف واختلاط الدين.

وإلى ما تقدم أشار العلاّمة الشيخ محمد العاقب الشنقيطي بقوله:

---

(١) البرهان ١/ ٢٣٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ٨/ ٢٢٩ ط: صبيح.

(٣) العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل.

(٤) اللخاف: جمع لخفة، وهي صفائح الحجارة.

(٥) الكرانيف: جمع كرنافة، وهي أصول السعف الغلاظ ـ تأويل مختلف الحديث ٣١١، تصحيح محمد زهري النجار ـ نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

لم نجمع القرآن في مجلد[1] على الصحيح في حياة أحمد
للأمن فيه من خلافٍ ينشأ وخيفة النسخ بوحيٍ يطرأ
وكان يكتَبُ على الأكتافِ وقِطَعِ الأدم واللِّخافِ
وبعد إغماضِ النبيِّ فالأحقّ أن أبا بكر بجمعه سَبَقْ
جَمعَهُ غير مرتّب السّوَرْ بعد إشارةٍ إليه من عمرْ
ثم تولّى الجمعَ ذو النورين فضمّه ما بينَ دفّتينْ
مرتب السور والآياتِ مخرّجاً بأفصَح اللّغاتِ

(1) انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط ص ٤٠ - راجعه فضيلة الشيخ علي محمد الضباع شيخ المقارىء بالديار المصرية - سابقاً. طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الثانية - سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣ م.

جمـــع القـــــرآن
بمعنى كتابته في عهد أبي بكر رضي الله عنه

تولى أبو بكر مهام الخلافة، وارتد بعض أهل الجزيرة العربية عن الإسلام، فبعث إليهم جنداً لمحاربتهم، فقتل من الصحابة في تلك الحروب جماعة، وخاصة في غزوة اليمامة التي استحر فيها القتل بالقرّاء. فلما بلغ ذلك إلى أهل المدينة فزعوا فزعاً شديداً، وخاصة الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأشار على أبي بكر بجمع القرآن لئلا يذهب منه شيء بموت أهله فتوقف أبو بكر وقال.. قولته المشهورة: «كيف أفعل أمراً لم يفعله رسول الله ﷺ، ولم يعهد إلينا فيه عهداً؟»، فما زال به عمر حتى أقنعه بجمعه، فقد روى البخاري في صحيحه أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟.

قال عمر: «هذا والله خير»، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه فقال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟».

قال: هو خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ . .﴾ حتى خاتمة براءة.

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما[1].

غير أن هذه الجهود قد أجازت نص القرآن مع بعض الاختلاف في اللهجات الشائعة بين عرب الجاهلية.

وهنا نقف[2] من هذا الحديث عند عرض عمر رضي الله عنه الأمر على أبي بكر، وموقف أبي بكر من عرضه، فقد كان عمر مملئاً إحساساً بالخطر الداهم، الذي - لاحت - نذره في معركة اليمامة، ويوشك أن يلتهم كل حفاظ القرآن من الصحابة، رضوان الله عليهم، وهم الشهود العدول على وثاقة النص المكتوب، وقد كان - كما علمنا - مفرقاً في لخافٍ وكرانيف، وعسب وأضلاع وأكتاف، إلى جانب ما كان في الصدور، ولم يأخذ بعض صورة الكتاب الواحد، اللهم إلا في صدور الصحابة الذين جمعوه حفظاً على عهد رسول الله ﷺ، وقد بدأت الحرب تقرضهم واحد أثر واحد[3]، ويبدو لنا أن الصحابة لم يكونوا يدركون آنذاك قيمة النص المكتوب، بل كان اعتمادهم على استظهاره بقلوبهم، وأغلب الظن أن أحداً لم يدرك ذلك سوى عمر، ولعل ذلك كان ضمن كتاب الوحي، ومن أكثرهم إحساساً بمسؤولية الحفاظ عليه.

وجاء عمر إلى أبي بكر رضي الله عنه، فعرض عليه احتمال ذهاب كثير من القرآن إذا استحر القتل بالقراء في المواطن كلها. لكن أبا بكر تردّد

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٦ وما بعدها.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٢٥، ٢٢٦ - ط: دار الشعب.

(٣) انظر تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ص ١٠٢ وما بعدها.

في اتخاذ قرار بموافقة عمر على رأيه، وكانت حجته أن ذلك أمراً لم يفعله رسول الله، فكيف يفعله هو، أو يوافق على فعله، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت تجربة المسلمين لا زالت وليدة في مواجهة ما كان يستجد أمامهم من مشكلات، تتطلب حلولاً وقرارات، لا يجدون سندها في كتاب ولا سنَّة، وكان أول المواقف الخطيرة التي واجهت أبا بكر موقفه من الردة، حين بلغه أن قوماً منعوا الزكاة، وآخرين تبعوا المتنبئين ورفضوا الدين كله، ولقد تردّد عمر في قرار الحرب، ولكن أبا بكر عزم على حربهم تمسكاً بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[1]، وقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلّه إلا الله، وأن محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[2].

فأبو بكر في هذا الموقف الخطير كان ينفِّذ نصّاً صريحاً بقتال مانعي الزكاة والمرتدين، وهو نص يؤنسه ويدفعه، ويشدُّ أزره ـ أما هذا الموقف الجديد الذي عرضه عمر بضرورة جمع القرآن فقد كان تجربة من نوع جديد، لا نص يحلها، ولا سابقة تعين على معالجتها: هل لأبي بكر خليفة المسلمين أن يفعل أمراً لم يفعله رسول الله، وهو أن يجمع القرآن بين دفتين؟.

إن ذلك في الحقيقة كان أول موقف من نوعه وقد كان من المحتمل جداً لو أن عمر لم يتمكن من إقناع أبي بكر أن يلجأ الرجلان إلى جمهور الأمة يستفتيان الصحابة ويحتكمان إليهم، فليس خطر القرار الواجب اتخاذه بمقتصر على رجلين، إنما هو قضية دستور الأمة كلها، وكتابها المنزل، ولا ريب أن القرار الذي كان سيسفر عنه هذا الاحتكام، لو تمّ، كان سيحمل طابع إجماع المسلمين على أمر، وإجماعهم في تلك الفترة العصيبة حكم

---

(١) سورة التوبة: الآية (٥).

(٢) صحيح البخاري ١/٩.

جازم، واجب التنفيذ على كل من سيشترك فيه من الصحابة، ثم التابعين من بعدهم، وهكذا. . . وعليه فلو كان تردّد أبو بكر في جمع القرآن قد أمضى رأياً مجمعاً عليه، فربما لم يكن القرآن قد جمع حتى عصر متأخر، ذلك لأن الأجيال التالية لم تكن لتخالف إجماعاً انعقد في الجيل الأول من صحابة رسول الله.

ومن هنا كان قرار أبي بكر فيما نرى هو أخطر قرار اتخذه في حياته، وأعظم الخطوات التي تمت في تاريخ هذه الأمّة، لأنه حل أساساً مشكلة أصولية، ترتب على حلّها سلامة النص القرآني من التحريف[1] وهو الأساس الذي انطلقت منه حركة الحضارة الإسلامية في التاريخ، مطمئنة إلى دستورها المنزل المحفوظ، وهو أيضاً القاعدة التي اتخذت مقياساً لكل إصلاح لرسم المصحف، أو كتابته فيما بعد، ولذلك قال عليّ رضي الله عنه ـ فيما حدّث به سفيان عن السدي عن عبد خير ـ قال: سمعت عليّاً يقول: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر»، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع بين اللوحين.

والروايات الكثيرة تُجمع على أن هذه الخطوة كانت من أبي بكر، وفي عهده بمشورة من عمر، وأن ذلك كان للمرّة الأولى في تاريخ الأمة، تأثراً بما حدث من نكبة عامة يوم اليمامة.

فأما ما روي من أن علياً فعل ذلك فمردود، وذلك ما رواه أشعثُ عن محمد بن سيرين: لما توفي النبي ﷺ أقسم عليٌّ أن لا يرتدي برداء إلاّ لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟.

قال: لا والله، إلاّ أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلاّ لجمعة، فبايعه ثم رجع.

قال أبو بكر السجستاني: لم يذكر «المصحف» أحد إلا أشعث، وهو

---

(١) نفس المصدر السابق.

لين الحديث، وإنما رووا: حتى أجمع القرآن، يعني أتَمَّ حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن، قد جمع القرآن.

وكذلك ما روي من أن عمر بن الخطاب أمر بجمع القرآن، وكان ذلك حين سأل عن آية من كتاب الله، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله، وأمر بالقرآن فجمع، وكان أول من جمعه في المصحف، فمثل هذا مردود بما ثبت من وقائع حديث البخاري السابق، وبأن الحديث منقطع السند، وقد يكون المراد بقوله: وكان أول من جمعه: أشار بجمعه، وقد ذكر السيوطي أن من غريب ما ورد في أول من جمعه ما أخرجه ابن أشتة في كتاب المصاحف من طرق... عن ابن بريدة قال: أول من جمع القرآن في مصحف سالم «مولى أبي حذيفة» أقسم لا يرتدي برداً حتى يجمعه، فجمعه، ثم ائتمروا ما يسمونه، فقال بعضهم: سمُّوه السِّفر، قال: ذلك تسمية اليهود، فكرهوه، فقال: رأيت مثله بالحبشة يسمى بالمصحف، فاجتمع رأيهم على أن يسمُّوه المصحف.

قال السيوطي: إسناد منقطع أيضاً، وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر، على أن لنا ملاحظة نثبتها هنا عن كلمة (مصحف)، والقول بحبشيتها، فإن مقياسنا الذي أخذنا به في دراساتنا لمشكلة الاقتراض والتعريب لا يقر ذلك، بل هي - على الأكثر - من المشترك السامي، ما دامت ذات أصل كامل التصريف، قال في اللسان: «المُصحَفُ والمِصحَفُ: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين، كأنه أُصْحف، والكسر والفتح فيه لغة، قال أبو عبيد: تميم تكسرها، وقيس تضمها، ولم يذكر من يفتحها، ولا أنها تفتح، إنما ذلك عن اللحياني عن الكسائي. ليس هذا استطراد عديم القيمة، إنما نسوقه لنستأنس به في تضعيف متن الخبر، فقد عرفت العرب كلمة (المصحف) قبل أن تستعمل هذا الاستعمال الخاص، لا أنها بمعناها منقولة في هذه المناسبة عن الحبشية.

وبديهي أن عملية جمع القرآن لم يقم بها زيد بن ثابت وحده، فقد

عاونه فيها عمر بن الخطاب، كما ورد في رواية ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه: أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: «اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه»، قال السيوطي رجاله ثقات مع انقطاعه، وربما اشترك فيها أيضاً سالم بن معقل، على ما سبق في حمل السيوطي لما روى عنه، وكذلك أبيّ بن كعب، لما ورد عن أبي العالية: أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون، ويملي عليهم أُبيّ بن كعب»[1].

ونقف هنا وقفة يسيرة للتعليق على منهج زيد ومعاونيه في جمع القرآن، يقول الدكتور محمد حسين هيكل:

«تستطيع أن تقول في غير تردد: إنه اتبع طريقة التحقيق العلمي المألوفة في عهدنا الحاضر، وقد اتبع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقة».

ولعلنا لو عدنا إلى ما سبق أن نقلناه عن البحر، بشأن قراءة عمر: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ بدون واو، وما كان من محاولة زيد إقناعه، ومن الطريقة التي استشهد بها أُبيّ على وجود الواو، وأن تصديق ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن، وتأييده بذلك لقراءة زيد ـ ندرك حينئذ مدى ما عانى من أجل سلامة منهجه، فقد كان هذا دأبه، وهو يؤلّفُ القرآن من الرقاع والعظام، وكلما جاء صحابي بشيء من القرآن، فالخلاف بينه وبين عمر حول (الواو) ذو دلالة على مدى تحرّيه ودقته في العمل كله. ولقد يعرض لنا في هذا الموضوع سؤال، كان أيضاً موضع تعليق لكثير من المستشرقين وملاحظة، وهو: لماذا اختير زيد بن ثابت للقيام بهذه المهمة العظمى دون غيره من الصحابة؟.

ـ ونحسب أن حديث الجاحظ في هذا الصدد هو خير إجابة على كل وسوسة من هذا النوع.

ـ قال: «رَأَوْا أن قراءة زيد أحق بذلك، إذ كانت آخر العرض، ولأن

(١) نفس المصدر السابق.

الجميع الذين سمعوا آخر العرض أكثر ممن سمع أوله، فحملوا الناس على قراءة زيد، دون أُبـيّ وعبد الله، وإن كان الكل حقاً، إذا كان ـ رُبَّ حق في بعض الزمان أقطع للقيل والقال، وأجدر أن يميت الخلاف، ويحسم الطمع، فتركوا حقاً إلى حقٍّ، العمل به أحق، ولو أن فقيهاً رأى إطباق العلماء على صوم يوم عرفة، واستنكارهم الإفطار فيه فأفطر وأظهر ذلك ليعلمهم موضع الفريضة من النافلة، أو خاف أن يلحق الفرض على تطاول الأيام ما ليس فيه كان مصيباً، وكان قد ترك حقاً إلى أحق منه، وللحق درجات، وللخلاف درجات وللحرام درجات. . .» الخ.

على أن هذه القضية ربما اتضحت جوانبها خلال ما يلي من الحديث[1].

وقد ذكر الدكتور هيكل أن زيداً إنما اختير لهذا العمل الجليل، دون غيره من الصحابة، لأنه شاب، فهو أقدر على العمل منهم، وهو لشبابه أقل تعصباً لرأيه، واعتزازاً بعمله، وذلك يدعوه إلى الاستماع لكبار الصحابة من القرّاء والحفاظ، والتدقيق في الجمع، دون إيثار لما حفظه هو، وإن كان ـ المتواتر ـ أنه حضر العرضة الأخيرة للقرآن، حين عرضه رسول الله على جبريل للمرة الثانية، في السنة التي كانت فيها وفاته، لكن موقفه السابق مع عمر، يدلنا على أنه كان حافظاً متثبتاً، واعياً لما حفظ، وأنه لم يترك الصواب لأي اعتبار.

وحسبك أن ترجع إلى حديث أبي بكر لتعرف الأسباب والدوافع من وراء اختياره لهذه المهمة الجليلة، في بساطتها وروعتها.

وبهذا المنهج أَلَّفَ زيد النص القرآني، ثم أودعت الصحف عند أبي بكر، حياته حتى مات، ثم عند عمر، حياته حتى مات، ثم عند حفصة بنت عمر وأم المؤمنين.

وملاحظة انتقالها من أبي بكر إلى حفصة تدلنا إلى أن هذه الصحف،

---

(١) نفس المصدر السابق.

منذ كتبت، كانت معدودة من الملكية العامة، إذ لو كانت ملكاً خاصاً لأبي بكر لَمَا ورثها غير أبنائه من بعده، وأغلب الظن أنها لم توضع لدى حفصة إلاّ لتكون رهن تصرف الخليفة الثالث، حين يطلبها، وبخاصة إذا كانت حفصة من أمهات المؤمنين، وهو ما حدث فعلاً[1].

نقول هذا رداً على المستشرق بلاشير الذي حاول أن يزرع الشكوك حول عملية جمع القرآن، على عهد أبي بكر، حين رجح أولاً أن نَسْخَ المصحف الذي بدأ في حياته لم ينته إلا في عهد عمر، إذ كان قبل موت أبي بكر بخمسة عشر شهراً.

ثم تساءل: هل كان عمل هذا المصحف حلاً للموقف الذي خشيه عمر؟...

وأجاب قائلاً: لقد كان المجتمع ـ منطقيّاً ـ بحاجة إلى مجموعة مكتوبة من الوحي، معترف بها من الجميع، ليطبقها الجميع، فهل كانت هذه هي صحف أبي بكر؟... كلا، إذ أن هذه الصحف كانت ملكاً خاصاً لأبي بكر وعمر بصفتهما الشخصية، لا للخليفة رئيس الجماعة، ولقد دل كل شيء ـ إجمالاً ـ على أن الخليفة الأول وصاحبه حين أحسّا مغبة ألا يكون لديهما نص كامل للوحي، كلفا أحد كتاب الوحي ممن سبق أن استخدمهم محمد في هذه الوظيفة ـ بأن يهيئه لها.

ولن نتساءل عن إمكان أن تصدر محاولة عمر ـ مؤيِّدة أو معارضة بسلطة أبي بكر ـ عن سبب آخر: هو الرغبة في تملك نسخة شخصية من الوحي، كما كان يملكها صحابة آخرون للنبي، فإن الأمر لم يكن في ذهن أبي بكر وعمر أمر فرض مصحف إمام على جماعة المؤمنين، وإنما يبدُو أنه من المستحسن ألاّ يكون رئيس الجماعة في وضع أقل من بعض الصحابةَ مِمَّن هم أحسن حالاً.

وهذا الحديث من بلاشير يقوم على عدّة دعاوى هي:

---

(١) نفس المصدر السابق.

١ ـ أن جمع القرآن كان عملاً شخصياً قصد به تحقيق رغبة أبي بكر وعمر.

٢ ـ وأن هذه الرغبة كانت منبعثة عن غيرة شخصية، وإحساس لديهما بالنقص بالنسبة إلى بعض الصحابة[١]، واستخدم بلاشير هنا كلمة نقص.

٣ ـ وأن عملهما هذا كان مسبوقاً بأعمال أخرى مشابهة لدى كثير من الصحابة.

وقد شايعه في هذه الادعاءات تلميذه الدكتور مصطفى مندور، في رسالته المشار إليها آنفاً، بل زاد أحياناً كلمات خلال التعبيرات التي قبسها عنه، فإذا قال بلاشير: ـ نقص ـ قال مندور: ـ مركب نقص ـ وإذا قال بلاشير: أنها كانت ملكية شخصية. قال مندور: إن حفصة ورثتها على أنها ذمة مالية شخصية.

ونقول: وماذا عن انتقالها إلى عمر بعد أبي بكر؟.. ثم... ما القيمة الحقيقية لنسخة من القرآن، لدى رجل جمعه حفظاً على عهد رسول الله وفي عصر كان المحفوظ فيه أوثق ثبوتاً، وأعظم حياة في وجدانه، وعلى لسانه، إن لم يكن ذلك من أجل الأمة بأسرها[٢].

ولعل موقفنا من هذه الادعاءات واضح بعدما قدمنا، لكنا نشير إلى مغالطة وقع فيها بلاشير، وهي القول بأن جمع أبي بكر للقرآن كان مسبوقاً أو مصحوباً بمحاولات أخرى فردية، وهو يشير إلى أسماء عدد من الصحابة، منهم: معاذ بن جبل، وأُبـيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وأبو زيد بن السكن، وغيرهم..

كما يستدل على ذلك بخبر أُبـيّ السابق ذكره في جمع القرآن، ونحن لا ننكر أن محاولات فردية سبقت وصحبت جمع أبي بكر، ولكنها لم تكن

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٠٨، ١٠٩.

(٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

لجمع القرآن، بل لتقييد محفوظ كل منهم، كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، وكان ذلك بعده، مخافة النسيان أو الخطأ. ولسوف يكون لنا في ذلك حديث.

فلما كان أمر أبو بكر لزيد، وفد الصحابة سراعاً بما لديهم يضعونه بين يدي زيد، ويوثقونه بشهادة العدول.

هذا كل ما في الأمر، لكن أهداف الاستشراق تريد أن تخلع عن عمل أبي بكر ميزة الجدِّية، وأن تجرد من كونه عملاً تضافرت عليه جهود، وتوافرت له صفة التواتر، أي قطعية الثبوت، ليصبح في نظر الناس عملاً فردياً، لم تدفع إليه مصلحة عامة، وليس هو بأولى من غيره بالالتزام والمتابعة.

وعودة إلى حال هذا المصحف في عهد عمر رضي الله عنه، حين أصبح أميراً للمؤمنين، لنؤكد أنه استمر على ما كان عليه أيام أبي بكر، مع مزيد من النشاط وتفوق مستمر في تعليم الناس القرآن، وتجنبهم أن يخطئوا في قراءته على الوجه الذي ينبغي أن يقرأ به، في حدود الأحرف السبعة[1].

وقد عثرنا على خبر يدل دلالة واضحة على ما نقول، فقد روي عن محمد بن سعد في طبقاته عن محمد بن كعب القرظي، بإسناده قال: جمع القرآن في زمان النبي ﷺ، خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأُبَيّ بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء، فلما كان زمن عمر ابن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا ورَبَلوا[2] ومثلوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعنّي يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم. فدعا عمر أولئك الخمسة، فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلِّمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني، رحمكم الله، بثلاثة منكم إن أجبتم، فاستهمُوا، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لنتساهم، هذا شيخ كبير، لأبي أيوب، وأما هذا فسقيم، لأُبَيّ بن كعب، فخرج معاذ، وعبادة، وأبو

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٠، ١١.

(٢) يريد: كثر عددهم ونموا.

الدرداء، فقال عمر: ابدءوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلْقن، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليُقمْ بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين، وقدِموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين، وأمَّا معاذ فمات عام طاعون عَمْواس، وأما عبادة فصار بعدُ إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات.

واستمرت الحال هكذا، تتسع شيئاً فشيئاً، باتساع الفتوح، وانسياح المسلمين في أقطار الأرض، ممالك الفرس والروم آنئذ، وكلما انبسطت الرقعة، انتشر القرآن، كما ضعفت الرقابة على كيفية أداء المسلمين الجدد لحروفه ووجوهه، لكن ما كانوا يطيقون قراءته كان مرخصاً به في حدود الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن، إلى أن كان زمن الخليفة الثالث، عثمان بن عفان[1].

هذا والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل.

---

(١) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

جمـــع القـــرآن

بمعنى كتابته في عهد عثمان رضي الله عنه

وفي خلافة عثمان وقد اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون في أرجاء البلاد المفتوحة واختلف المسلمون في قراءة القرآن، فلم يسترح عثمان رضي الله عنه لهذا الاختلاف، وأمر بأن تكتب قراءة موحدة فريدة بلغة قريش للناس إماماً.

يكشف لنا هذا العمل الجليل ما رواه البخاري عن أنس أنه قال: «إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال حذيفة لعثمان:

يا أمير المؤمنين أدرك الناس قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن ارسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أنزل بلسانهم»، ففعلوا.

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[1].

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٦/٦ ط: دار الشعب.

ومنذ ذلك الحين وكتاب الله يتنقل من جيل إلى جيل، بصورة وحيدة فريدة[1] متعارف عليها في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

بهذا يتبين لنا بوضوح امتياز القرآن الكريم بوصوله إلينا خالياً من التبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقصان، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2].

وإلى ما تقدم أشار الإمام الشاطبي في عقيلة أتراب القصائد بقوله[3]:

إن اليمامة أغواها مسيلمةُ الـ	ـكذاب في زمن الصديق إذ خسرا
وبعد بأسٍ شديدٍ حانَ مصرعه	وكان بأساً على القرَّاء مستعرا
نادى أبا بكرٍ الفاروقُ خِفْتُ على الـ	ـقرَّاء فادَّارك القرآن مستطِرا
فأجمعوا جمعَه في الصحفِ واعتمدوا	زيدَ بن ثابتٍ العدل الرضي نظَرَا
فقام فيه بعون اللّهِ يجمعهُ	بالنُّصحِ والجدِّ والحزمِ الَّذِي بَهَرَا
منْ كلِّ أوجهه حتى استتمَّ له	بالأحرُفِ السبعةِ العلْيا كما اشْتهرَا
فأمسكَ الصُّحُفَ الصديقُ ثم إلى الْـ	ـفَارُوقِ أسلَمها لما قضَى العُمُرَا
وعندَ حفصةَ كانت بعدُ فاختَلَفَ الْـ	ـقُرَّاءُ فاعتزلوا في أحرفٍ زمرَا
وكان في بعض مغزاهُم مُشاهِدُهمْ	حُذَيفةٌ فرأى في خُلْفِهِم عِبَرَا
فجاء عثمانُ مذعوراً فقال لهُ	أخاف أن يخْلُطُوا فادَّارِك البَشَرَا
فاستحضرَ الصحفَ الأولى التي جُمِعتْ	وخَصّ زيْداً ومن قريشهم نَفَرَا

(١) وينبغي هنا أن نثبت أن المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار لم تكن كلها متطابقة تماماً، في كل حرف حرف، بل كان بين بعضها وبعض اختلاف يسير، نصّت عليه الكتب التي أُلّفت بعد ذلك في الرسم العثماني، وفي مصاحف الأمصار وهو اختلاف لا يضر مثله، ولذا اعتبرت كل المصاحف العثمانية صورة واحدة من المصحف الإمام.

(٢) سورة الحجر: الآية (٩).

(٣) نفس المصدر السابق.

عـلـى لـسـان قـرَيْـش فـاكـتُـبُـوه كـمـا   عـلـى الـرسـول بـه إنـزالُـهُ انـتَـشَـرَا

فـجـردُوهُ كـمـا يَـهـوى كـتـابـتـهُ   مـا فـيـه شـكـلٌ ولا نـقـطٌ فـيُـحْـتَـجـرَا

وتدلنا أكثر على أن مصحف عثمان كان نسخه من جمع أبي بكر، وأن الرهط الذين تولوا كتابته كانوا أربعة كما ذكرت الرواية[١] وقد تقتصر بعض الروايات على زيد وسعيد[٢]، وقد تبلغ بعض الروايات بالرهط اثني عشر رجلاً[٣] ولا مانع لدينا في أن يكون هذا العدد الذي اشترك في الكتابة، ولكن يغلب أن يكون الأربعة الأولون قد انفردوا بكتابة النسخة الأولى، ثم جاء الباقون فأخذوا عنها بقية النسخ التي أرسلها عثمان إلى الأمصار.

ومن أهم أخبار كتابة المصاحف على عهد عثمان رضي الله عنه ما ذكره الحسين بن فارس بإسناده عن (هانيء) قال: «كنت عند عثمان رضي الله عنه وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أُبـيّ بن كعب فيها: «لم يتسنَّ» و «فأمهل الكافرين» و «لا تبديل للخلق»، قال: فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين، وكتب «لخلق» ومحا «فأمهل» وكتب «فمهل» وكتب «لم يتسنه» الحق فيها هاء.

ومعنى ذلك أن عملية الكتابة كانت مشتركة بين مجيدي الكتابة من صحابة رسول الله، وهي شركة تخلع على العمل كله توثيقاً ينفي عنه كل احتمال.

وبعد الكتابة رد عثمان الصحف إلى حفصة، فبقيت عندها حياتها، وقد كان مروان[٤] يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كتبت منها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها.

---

(١) انظر صحيح البخاري ٣/١٩٦، ١٩٧.

(٢) المصاحف ١/٢٢، ٢٣.

(٣) المصدر السابق ١/٢٥.

(٤) هو: مروان بن الحكم وكان والياً على المدينة (انظر الكامل ٣/ حوادث سنة ٤٤هـ) وقد ماتت حفصة عام ٤٥هـ (انظر طبقات ابن سعد ٣/٨٦).

قال سالم بن عبد الله: فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلنّ بتلك الصحف، فأرسل بها إليه[1] فأمر مروان فشُقّقت.

على أنه قد اختلف في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنها خمسة، وقيل: أربعة، وقيل: سبعة، وحبس بالمدينة واحداً/والقضية التي ينبغي أن نناقشها الآن هي أهمية عمل عثمان من الناحية القرائية، فإذا كان عمل عثمان مقتصراً على نسخ مصاحف عدة من المصحف الذي كتبه زيد في عهد أبي بكر فأية قيمة يمكن أن تكون لهذا العمل؟.. ولكي ندرك مغزى هذا العمل جيداً، نرجع إلى ما كان من أبي بكر، فهو قد جمع القرآن، ولكنه احتفظ به في الصحف، وربما كان ذلك منه انتظاراً لوقت الحاجة إليه، وأعجله القضاء، وانتقلت النسخة إلى عمر، وقد كان عهده استمراراً لعهد الصديق، فلم تظهر أيضاً حينذاك بالناس حاجة إلى تعميم هذا المصحف، إذ كانت سياحة الحفاظ من الصحابة محدودة، ولم تظهر بعد آثار للخلاف في حروف القرآن على نحو ما حدث على عهد عثمان. بل إن عهد عثمان قد مضت منه ست سنوات هادئة من مثل هذه الخلافات، فلما أطلّت برأسها رأى عثمان ومعه الصحابة أن ينشروا هذا المصحف المجموع على أوسع نطاق.

ومعنى هذا أن مصحف أبي بكر كان مكتوباً ـ كما هو المنطق ـ على حرف واحد، كما سبق أن قررنا ذلك بالنسبة إلى كتابة كتاب الوحي على عهد رسول الله ﷺ.

وإذا كان زيد بن ثابت على ما ورد في الأحاديث الصحيحة[2] من أكثر كتّاب الوحي ملازمة لرسول الله ﷺ، ثم هو قد قام بكتابته على عهد أبي بكر، وعلى عهد عثمان، فإن ذلك يدلنا على أن منهج الكتابة كان واحداً في المراحل الثلاثة تقريباً، إلا ما ارتآه عثمان رضي الله عنه من تجويد

---

(١) انظر تاريخ القرآن: تأليف الدكتور عبد الصبور شاهين ص ١١٦.

(٢) البخاري ٣/١٩٦، ١٩٧، والإتقان ١/٥٧ وما بعدها، والبرهان ١/٢٣٣.

رسمه من الإعجام، حتى يتسع الرسم لكثير من الوجوه التي صح نقلها عن النبـي ﷺ[1].

ثم إن هدفاً آخر قد تحقق بعمل عثمان، هو التقريب اللغوي ما بين وجوه القراءة المتلوّة آنذاك في الأمصار المختلفة، والقضاء على الخلاف الذي كاد يعصف بوحدة الجماعة، أي أن عمل عثمان كان من مقاصده أساساً نشر النص القرآني بلسان قريش، وإرساء هذا التقليد اللغوي الذي سبقته مقدمات كثيرة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقد ساعد على ذلك أمر عثمان بإحراق كل ما عدا مصحفه من صحف أو مصاحف كان قيدها الصحابة والآخذون عنهم، وقد انصاع لأمره الناس في سائر الأمصار، فيما عدا ما روي عن عبد الله بن مسعود من أنه عارض ذلك، وأمر الناس في الكوفة بالتمسك بمصحفه قائلاً: كيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، وقد قرأت من في رسول الله رسول الله ﷺ، بضعاً وسبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان، «والله ما نزل من القرآن، إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، ما أحد أعلم بكتاب الله مني، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكاناً تبلغه الإبل أعْلَمَ بكتاب الله منّي لأتيتُه»[2].

فابن مسعود عارض في إحراق مصحفه، وفي عمل عثمان أيضاً، لشبهة اعترته، هي ظنه أن زيداً قد تفرّد بالعمل، وقد كان هو أولى من يقوم به، فلما علم بعد ذلك أن موقفه قائم على شبهة لا أكثر ولا أقل، وأن المصحف الذي أرسله عثمان هو نسخة من جمع أبي بكر الذي أُخِذَ من صدور الرجال، ومن العسب واللخاف التي كتبت على عهد رسول الله، وأنّ زيداً لم ينفرد بالعمل بل شاركه فيه جمع كبير من الصحابة، وأجمع عليه المسلمون، وافق اقتناعاً أولاً، وحفاظاً على وحدة الأمة ثانياً.

---

(١) تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ص ١١٦.

(٢) نفس المصدر السابق ص ١١٧.

وبذلك تمت موافقة الأمة كلها على مصحف عثمان، حتى قال مصعب بن سعد: أدركت الناس متوافدين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد، وقال عليّ في ذلك أيضاً: «لو لم يصنعه عثمان لصنعته»، ولما قدم عليّ الكوفة قام إليه رجل فعاب عثمان بجمع الناس على المصحف، فصاح وقال: «اسكت فعن ملأٍ منا فعل ذلك، فلو وليت منه ما ولي عثمان لسلكت سبيله».

تنبيــــه[1]

اختلف هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف؟ فذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى غير ذلك، وبنوا عليه أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء منها، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل متضمنة لها لم تترك حرفاً منها.

قال ابن الجزري: هذا هو الذي يظهر صوابه.

ويجاب عن الأول بما ذكره ابن جرير أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة وإنما كان جائزاً لهم ومرخصاً لهم فيه، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً وهم معصومون من الضلالة، ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام، ولا شك أن القرآن نسخ منه في العرضة الأخيرة بالفعل المبني للمجهول، فاتفق رأي الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقرّ في العرضة الأخيرة وتركوا ما سوى ذلك.

وأخرج ابن أشتة في المصاحف وابن أبي شيبة في فضائله من طريق

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي جـ ١ ص ٩٩: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر: الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م.

ابن سيرين عن عبيدة السلماني قال: القراءة التي عرضت على النبي ﷺ في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم.

وأخرج ابن أشتة عن ابن سيرين قال[1]: «كان جبريل يعارض النبي ﷺ كل سنة في شهر رمضان مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين، فيرون أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الأخيرة».

وقال البغوي في شرح السُّنَّة: إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بيّن فيها ما نسخ وما بقي وكتبها الرسول ﷺ وقرأها عليه، وكان يقرىء الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر وجمعه، وولاّه عثمان كتب المصاحف.

وأما ما ورد أن عثمان رضي الله عنه قال: «إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها»[2]، فغير صحيح، ولا يعقل أن عثمان يقول ذلك لا قبل جمع القرآن ولا بعده، نعم إنه قال قبل جمعه لما بلغ اختلاف الناس في القرآن حتى اقتتل الغلمان والمعلّمون «عندي تكذّبون به وتلحنون فيه، فمن نأى عني من الأمصار كان أشدَّ تكذيباً وأكثر لحناً يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً» ولا يخفى الفرق بين القولين.

وقد رد القول الأول العلامة الألوسي في أول تفسيره «روح المعاني» بقوله: فالحق أن ذلك لا يصح عن عثمان، والخبر ضعيف مضطرب منقطع إذ كيف يظن بالصحابة أولاً اللحن في الكلام فضلاً عن القرآن وهم هم ـ ثم كيف يظن بهم ثانياً اجتماعهم على الخطأ وكتابته، ثم كيف يظن بهم ثالثاً عدم التنبُّه والرجوع، ثم كيف يظن بعثمان عدم تغييره، وكيف يتركه لتقيمه العرب؟ وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه وهم الخيار فكيف يقيمه غيرهم، فلعمري إن هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة وعرفاً ا.هـ. منه.

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٦٧.

(٢) انظر غريب القرآن وغرائب رسمه وحكمه ـ تأليف محمد طاهر ابن عبد القادر الكردي المكي الخطاط راجعه فضيلة الشيخ محمد علي الضباع شيخ المقارىء المصرية الأسبق ص ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ الطبعة الثانية ـ سنة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣ م.

ومن المشاهد أنه لو مر أحد الملوك أو الأمراء بنسخ مصحف أو كتاب لا يقدِّمه الكاتب إليه إلا بعد مزيد من العناية بتصحيحه والتثبت من عدم وجود أي غلط فيه، فكيف بهؤلاء الصحابة الذين بذلوا أنفسهم رخيصة لله لا يتحرَّون في كتابة وضبط المصحف الشريف الذي هو أساس الدين الإسلامي الحنيف؟.

هذا، ولقد وصلت عدة مصاحف من جمع عثمان إلى البلدان الإسلامية، فلو وجدوا فيها خطأ أو غلطاً لَمَا سكت أحد من المسلمين عليه، ولكنهم أجمعوا على صحتها وقبولها وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن أمتي لن تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم»[1]، وقال أيضاً في حديث العِرْباض بن سارية: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي عضُّوا عليها بالنواجذ»[2].

ولهذا كان إجماعهم حجة. على أنك لن تجد من المسلمين عناية بشيء كعنايتهم بكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، سواء في نسخه أو تصحيحه أو حفظه أو حرمته وهذا لا يحتاج إلى دليل.

وانظر كم من المصاحف التي لا تعد ولا تحصى قد كتبت منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا «أي أربعة عشر قرناً» فهل رأيت فيه تبديلاً أو تغييراً مع كثرة أعداء الدين من مختلف الأجناس والعقول[3].

ثم وقفنا على كلام الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني مؤلف كتاب «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار» مع كتاب النقط حيث ردَّ على من نسب لعثمان بن عفان رضي الله عنه بأن في القرآن لحناً تقيمه العرب بألسنتها، فرأينا إثباته هنا لِمَا لكلامه من القيمة العلمية، فقد

---

(١) رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

قال رحمه الله في كتابه عند ذكر سبب اختلاف مرسوم المصاحف ما نصُّه: «فإن قال قائل» فما تقول في الخبر الذي عنه أن المصاحف لما نسخت عرضت عليه فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال: اتركوها فإن العرب ستقيمها أو ستعربها بلسانها إذ ظاهره يدل على خطأ في الرسم (قلت) هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة ولا يصح به دليل من جهتين[1]:

أحدهما: أنه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسل، لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئاً ولا رأياه، وأيضاً فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان رضي الله عنه لِمَا فيه من الطعن عليه مع محله من الدين ومكانه من الإسلام وشدة اجتهاده في بذل النصيحة واهتمامه بما فيه من الصلاح للأمة، فغير ممكن أن يقول لهم وقد جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأتقياء الأبرار نظراً لهم ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحناً وخطأ يتولى تغييره من يأتي بعده ممن لا شك أنه لا يدرك مداه ولا يبلغ غايته ولا غاية من شاهده، هذا ما لا يجوز لقائل أن يقول: لا يحل لأحد أن يعتقده (فإن قال) فما وجه ذلك عندك لو صحّ عن عثمان رضي الله عنه (قلت) وجهه أن يكون عثمان رضي الله عنه أراد باللحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم إذ كان كثيراً منه لو تلا على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها، ألا ترى قوله: ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ و ﴿وَلَأَاْوْضَعُواْ﴾ و ﴿مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ و ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ و ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وشبهه مما زيدت الألف والياء والواو في رسمه لو تلاه تالٍ لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته فيا لخط لصير الإيجاب نفياً، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه على حال صورته في الخط لصير الإيجاب نفياً، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله، فأتى من اللحن بما لا خفاء به على من سمعه مع كون رسم ذلك كذلك جائزاً مستعملاً، فأعلم عثمان رسول الله ﷺ إذ وقف على ذلك أن من فاته تمييز ذلك وعزبت معرفته عند مما يأتي بعده سيأخذ ذلك عن العرب إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٦٦ وما بعدها.

فيعرفونه بحقيقة تلاوته ويدلون على صواب رسمه، فهذا وجهه عندي، والله أعلى وأعلم. ا.هـ. من كتاب المقنع للإمام الداني رحمه الله تعالى ـ المتوفى عام ٤٤٤ من الهجرة[١].

وهنا نسوق للقارىء الكريم بعض كلام علماء المستشرقين عن دقة جمع القرآن العظيم، فقد جاء في كتاب «حياة محمد» للأستاذ الكبير محمد حسين هيكل ما نصُّه: يقول سير وليم موير[٢] عند كلامه عن القرآن ودقة وصوله إلينا ما ترجمته: «كان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام، فكانت تلاوة ما تيسّر منه جزءً جوهرياً من الصلوات اليومية عامة أو خاصة، وكان القيام بهذه التلاوة فرضاً وسُنَّة يجزي من يؤديهما جزاءً دينياً صالحاً. ذلك كان إجماع الرأي في السنة الأولى وهو ما يستفاد كذلك من الوحي نفسه، لذلك وعت القرآنَ ذاكرةُ كثرة المسلمين الأولين إن لم يكونوا جميعاً، وكان مبلغُ ما يستطيع أحدهم تلاوته بعض المميزات الجوهرية في العهد الأول للامبراطورية الإسلامية، وقد يسّرت عادات العرب هذا العمل فقد كانوا ذوي ولع بالشعر عظيم، ولما كانت الوسائل لتحرير ما يفيض عن شعرائهم في غير متناول اليد، فقد اعتادوا أن ينقشوا هذه القصائد كما كانوا ينقشون ما يتعلق بأنسابهم وقبائلهم على صفحات قلوبهم، بذلك نَمت ملكة الذاكرة غاية النمو، ثم تناول القرآن بكل ما أدّت إليه يقَظة الرُّوح إذ ذاك من حرص وإقبال، ولقد بلغ بعض أصحاب النبيّ من قُوَّة الذَّاكرة ودقتها، ومن التعلّق بحفظ القرآن واستذكاره حدّاً استطاعوا معه أن يعيدوا بدقة يقينيّة كل ما عُرِفَ منه إلى يوم كانُوا يتلونه» ا.هـ.

ولقد أَلَّفَ أيضاً المستشرق الأمريكي ر. ف. بودلي كتاباً قيماً اسمه «الرسول ـ حياة محمد» تكلّم فيه عن حياة سيدنا ونبينا محمد ﷺ منذ ولادته إلى وفاته تكلّم عنه بإنصاف وإعجاب، ولقد سمعنا أن هذا

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٦٨، ٦٩.

(٢) السير وليم موير ألف كتاباً اسمه أيضاً: «حياة محمد» وقد جزم بدقة القرآن بدون أي تحريف فيه، وتبعه في هذا الرأي الصائب كثير من المستشرقين منهم: «الأب لامنس» و «فون هامر» و «ر. ف. بودلي» الذي ننقل في هذا المقام بعض كلامه أيضاً.

المستشرق أسلم أخيراً، والذي ترجم كتابه المذكور إلى العربية الأستاذان الفاضلان محمد محمد فرج وعبد الحميد جوده السحار، وهذا الكتاب طبع للمرة الثانية وهو دليل على القبول والرواج.

ولنذكر نبذة صغيرة عما يقوله المستشرق المذكور في كتابه عن القرآن الكريم فإنه قال: فبين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته، وفي سلامته لم يشكّ في صحته كما أنزل أي شك جدّي، وهذا الكتاب هو القرآن وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد، وعلى الرغم من أن الأفكار قد دُوِّنت في الرقاع وسعف النخيل والعظام في لحظات غريبة، فالسور والآيات الأصلية قد حفظت[١].

ثم يقول: وهذا الكتاب ليس مجموعة أحاديث أو تقارير يفترض فيها أن محمداً قد قالها فهي نفس الآيات التي أملاها بنفسه يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر خلال حياته[٢].

ثم يقول: وإن الحسنة الوحيدة في طريقة زيد أنها كانت أمينة فوق الشبهات، لم يفعل شيئاً ليضيف فقرات، أو يضع جمل ربط، أو يحذف أو ينسخ تفاصيل تشين الإسلام، لقد عمل بإخلاص لا يمكن تصوره، حتى إنه لما انتهى من نشر القرآن، كان الكتاب من عمل مؤلّفه خالصاً ومؤلّفه فقط[٣].

ثم يقول: والمهمّ هو أن القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش أكثر من اثني عشر قرناً دون أن يبدّل فيه، ولا يوجد شيء يمكن أن يقارن بهذا أدنى مقارنة، لا في الديانة اليهودية ولا في الديانة المسيحية. ا.هـ. ما نقلناه باختصار، فانظر إلى كلام المنصفين من المستشرقين.

ولنختم هذا الفصل بما رواه البيهقي عن يحيى بن أكثم قال: دخل يهودي على المأمون فأحسن الكلام فدعاه إلى الإسلام فأبى، ثم بعد سنة

---

(١) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٣) يقصد بذلك أنه من عند الله فقط دون أن يحصل فيه تحريف أو تغيير مطلقاً.

جاء مسلِماً فتكلّم في الفقه فأحسن الكلام فسأله المأمون: ما سبب إسلامه؟ قال: انصرفت من عندك فامتحنت هذه الأديان فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة[1] فاشتريتْ منّي، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريت منّي، وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها إلى الوراقين[2] فتصفحوها فوجدوا فيها الزيادة والنقصان فرموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي، ذكره الزرقاني على المواهب في الجزء الخامس.

---

(١) قال في المنجد: البيعة بكسر الباء: المعبد للنصارى واليهود.

(٢) هم الذين يبيعون الكتب والورق.

الفصل الثالث

١ ـ حفظة القرآن في عهد النبي ﷺ.

٢ ـ ترتيب آيات القرآن وسوره.

٣ ـ خاتمة الفصل الثالث.



الفصل الثالث

حفظة القرآن في عهد النبـــي ﷺ

حفظ كثير من الصحابة القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ، فممن حفظه من المهاجرين أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة[١]، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة[٢]، وأم ورقة[٣].

وممن حفظه من الأنصار زيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأُبيّ بن كعب، وأبو الدرداء، ومجمِّع بن حارثة، وأنس بن مالك، وأبو زيد

---

(١) هو: سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة أحد السابقين الأولين، روي أن عائشة احتبست على النبي ﷺ فقال: ما حبسك؟ قالت: سمعت قارئاً يقرأ فذكرت من حسن قراءته، فأخذ رداءه وخرج فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال: الحمد لله الذي جعل من أمتي مثلك وروى البخاري من حديث ابن عمر، «كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر» ا.هـ ملخصاً من الإصابة.

(٢) عائشة وحفصة وأم سلمة هن من أمهات المؤمنين، أزواج النبي ﷺ، وأم سلمة اسمها هند على الأصح وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً ودفنت بالبقيع بالمدينة، رضي الله عن أمهات المؤمنين أجمعين.

(٣) أم ورقة: هي بنت عبد الله بن الحارث كانت قد جمعت القرآن وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة، وقد كان أمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن فغمها غلام لها وجارية كانت قد دبرتهما فقتلاها في إمارة عمر، فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة» ا.هـ ملخصاً من الإصابة.

(٤) قال في الإصابة في تمييز الصحابة: أبو زيد الذي جمع القرآن وقع في حديث أنس في صحيح البخاري غير مسمى، وقال أنس هو أحد عمومتي. واختلفوا في اسمه فقيل: أوس وقيل: ثابت ابن زيد، وقيل: معاذ، وقيل: سعد بن عبيد، وقيل: قيس بن السكن وهذا هو الراجح ا.هـ.

(ومما يناسب المقام) ما يروى أن خزرجاً كانت تفاخر أوساً بأربعة ممن حفظوا القرآن كله على عهد النبي ﷺ وأن أوساً كانت تفاخر خزرجاً بأربعة ممن لهم مناقب أخرى وإلى مفاخرتهما أشار صاحب نظم عمود النسب بقوله:

فاخرت الخزرج أوساً بنفرْ	مع النبيْ حفظوا كل السُّوَرْ
زيدُ بنُ ثابتٍ معاذُ بنُ جَبَلْ	ثم أبيٌّ وأبو زيد البَطَلْ
والأوسُ خزرجاً بذي الشهادهْ	كانت شهادتين في الإفاده

والمراد بذي الشهادتين: خزيمة بن ثابت.

وبما أن المقصود ذكر حفاظ القرآن لم نأت ببقية المفاخرة. وإذا تأملت حالة العرب أول ظهور الإسلام وعدم انتشار الكتابة بينهم، علمت أن عدد الذين ذكرناهم ممن يحفظ القرآن كله ليس بقليل، ولا شك أن جميع الصحابة رضي الله عنهم يحفظون منه بعض السور والآيات، كل منهم بحسب فراغه واستعداده وذلك لصلواتهم وعباداتهم[١].

هذا والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل.

(١) انظر تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط ط: جدة سنة ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦ م.

ترتيب آيات القرآن وسوره

قال السيوطي في الإتقان ما نصُّه[1]: أنَّ الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة فيه.

(أما الإجماع) فنقله غير واحد منهم: الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين ا.هـ.

وأما النصوص فمنها حديث زيد السابق: «كنا عند النبي ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع». ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: «قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال؟.

فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا» وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكان قصّتها شبيهة بقصّتها فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبيّن لنا أنها منها. فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال».

ومنها: ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال:

---

(١) انظر الإتقان للسيوطي ـ جـ ١ ص ٨٠ وما بعدها.

«كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص(*) ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إلى آخرها... وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبي ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغ التواتر.

وقال مكي وغيره: ترتيب الآيات في السور بأمر من النبي ﷺ، ولم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة[1].

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا. وقال أيضاً: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آي السور لم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة أنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد رتب سوره، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده ولم يتولّ ذلك بنفسه. قال وهذا الثاني أقرب.

وأخرج عن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول: إنما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ(*).

وقال البغوي في شرح السُّنَّة: الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين. القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه

(*) قال في المصباح: شخص بصره من باب خضع: إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف ا.هـ.

(1) نفس المصدر السابق ص ٨٢ وما بعدها.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

من القرآن على الترتيب الذي هو عليه الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، الذي أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزل مفرقاً عند الحاجة. وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله ﷺ يقول: «ضعوا آية كذا في موضع كذا»، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف.

وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضاً، أو باجتهاد من الصحابة؟ خلاف، فجمهور العلماء على الثاني، منهم مالك والقاضي أبو بكر في أحد قوليه.

قال ابن فارس: جمع القرآن على ضربين:

أحدهما: تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمثين، فهذا هو الذي تولَّته الصحابة. وأما الجمع الآخر هو جمع الآيات في السور فهو توقيفي، تولاّه النبي ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه مما استدل به، ولذلك اختلاف مصاحف السّلف في ترتيب السور، فمنهم من رتّبها على حسب النزول وهو مصحف عليّ، كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم نٓ ثم المزمّل ثم تبت ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي والمدني، وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد، وكذا مصحف أُبيّ وغيره. وأخرج ابن أشتة في المصاحف...

قال: أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال، فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة في السبع ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم(*).

وذهب إلى الأول جماعة: منهم القاضي في أحد قوليه.. قال أبو

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

بكر الأنباري: «أنزل القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بعض وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جواباً لمستخبر، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة».

فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلها عن النبي ﷺ، فمن قدّم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الكرماني في البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي تُوَفِّيَ فيها مرّتين، وكان آخر الآيات نزولاً: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الرِّبا والدين.

وقال الطيبي: «أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرّقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ».

وقال الزركشي في البرهان: والخلاف بين الفريقين لفظي، لأن القائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم ذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال مالك، إنما ألَّفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد إسناد فعلي بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر، وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير(*).

وقال البيهقي في المدخل: كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتباً سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان السابق.

ومال ابن عطية إلى أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصّل، وأن سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوّض الأمر فيه إلى الأمة بعده(*).

وقال أبو جعفر بن الزبير: الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف كقوله: «اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران» رواه مسلم. وكحديث سعيد بن خالد: «قرأ ﷺ بالسبع الطوال في ركعة» رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وفيه: أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصّل في ركعة.

وروى البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي، فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها.

وفي البخاري: «أنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ ـ قل هو الله أحد والمعوذتين».

وقال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ لحديث واثلة: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال» فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ، وأنه من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد، لأنه جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي.

وقال ابن حجر: ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفياً. قال: ومما يدل على ترتيبها توقيفي ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أوس بن أبي أوس عن حذيفة الثقفي قال: «كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف» الحديث، وفيه قال: «فقال لنا رسول الله ﷺ: قرأ عَلَيَّ حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه» فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاثة عشرة، وحزب المفصّل من ق حتى نختم. قال: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ(*).

(*) نفس المصدر السابق ص ٨٤ وما بعدها.

قال: ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذ حزب المفصّل خاصة بخلاف ما عداه. قلت: وما يدل على أنه توقيفي كون الخواتيم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بـ طس مع أنها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص.

والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سوراً ولاء على أن ترتيبها كذلك.

وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران، لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز.

وأخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال قال: سمعت ربيعة يسأل: لِمَ قُدِّمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة وإنما أنزلتا بالمدينة(*)؟.

فقال: قُدِّمتا وأُلِّف القرآن على علمٍ ممَّن ألفه به ومن كان معه فيه واجتماعهم على علمهم بذلك فهذا ما ينتهيِ إليه ولا يسأل عنه.

(*) نفس المصدر السابق ص ٨٤.

خاتمة الفصل الثالث

السبع الطوال: أولها البقرة وآخرها براءة، كذا قال جماعة لكن أخرج الحاكم والنسائي وغيرهما عن ابن عباس قال: السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف. قال الراوي: وذكر السابعة فنسيتها(*). وفي رواية صحيحة عن أبي حاتم وغيره عن مجاهد وسعيد بن جبير أنها يونس، وتقدم عن ابن عباس مثله في النوع الأول. وفي رواية عند الحاكم أنها الكهف. والمئون: ما وليها، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

والمثاني: ما ولي المئين لأنها ثنتها: أي كانت بعدها فهي لها ثوان. والمئون لها أوائل. وقال الفرّاء: هي السورة التي آيها أقل من مائة آية، لأنها تثنى أكثر مما يثنى الطول والمئون. وقيل: لتثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر، وحكاه النكزاوي. وقال في جمال القرّاء: هي السورة التي تثنيت فيها القصص، وقد تطلق على القرآن كله وعلى الفاتحة كما تقدّم.

والمفصل: ما ولي المثاني من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضاً، كما روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعوه المفصّل هو المحكم وآخره سورة الناس بلا نزاع.

واختلف في أوله على اثني عشر قولاً:

أحدهما: (قّ) لحديث أوس السابق قريباً. وهو أرجح الأقوال في نظري.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

الثاني: الحجرات، وصححه النووي.

الثالث: القتال، عزاه الماوردي للأكثرين، وليس الصواب دائماً بجانب الكثرة.

الرابع: الجاثية، حكاه القاضي عياض.

الخامس: الصافات.

السادس: الصف.

السابع: تبارك، حكى ابن أبي الصيف اليمني في نكته على التنبيه.

الثامن: الفتح، حكاه الكمال الذماري في شرح التنبيه.

التاسع: الرحمن، حكاه ابن السيد في أماليه على الموطأ.

العاشر: الإنسان.

الحادي عشر: سبح، حكاه ابن الفركاح في تعليقه عن المرزوقي.

الثاني عشر: الضحى، حكاه الخطابي. ووجهه بأن القارىء يفصل بين هذه السور بالتكبير وعبارة الراغب في مفرداته: المفصل من القرآن السبع الأخير.

ثم اعلم أن المفصّل طوال وأوساط وقصار، قال ابن معن: فطواله إلى عم وأوساطه منها إلى الضحى، ومنها إلى آخر القرآن قصاره، هذا أقرب ما قيل فيه.

أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن نافع عن ابن عمر أنه ذكر عنده المفصّل فقال: وأي القرآن ليس بمفصّل، ولكن قولوا قصار الصور وصغار السّور.

وقد استدل بهذا على جواز أن يقال سورة قصيرة وصغيرة، وقد كَرِه ذلك جماعة منهم أبو العالية، ورخَّصَ فيه آخرون، ذكره ابن أبي داود.

وأخرج عن ابن سيرين وأبي العالية قالا: لا تقل سورة خفيفة، لأن

الله تبارك وتعالى يقول في محكم التنزيل عن الوحي: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ولكن قل سورة يسيرة. هذا والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل(*).

وإلى ما ذكرناه أشار الشنقيطي في نظمه بقوله:

قد أنزل القرآن دون ثُنْيَا[1]	ليلَة إلى سماء الدنيا
ثم على قلب النبي هَجَمَا	به الأمينُ أنجُماً مُنَجّما
وليس ترتيب النزول كالأدا	وفي الأدا الترتيب بالوحي اقتدى[2]
فَهُوَ كما هُوَ عليه مستطر	في لوحه المحفوظِ نِعْمَ المسْتطرْ
وذاك في السُّوَرِ القول الأحقّ	والحقُّ في الآي عليه متَّفقْ
ويحرم التنكيس فيه والخبرْ	جاء بتنكيس قراءة السُّوَرْ[3]

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(١) الثنيا بضم الثاء مع الياء، والثنوي بالفتح مع الواو: اسم من الاستثناء، قاله في المصباح: أي أنزل القرآن إلى السماء الدنيا جملة واحدة دون استثناء شيء منه.

(٢) أي ليس ترتيب النزول كترتيب التلاوة، فإن أول ما نزل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وأوّل القرآن الفاتحة.

(٣) أي يحرم التنكيس في الآيات مطلقاً خطاً وقراءة، وأما في السُّور فيحرم تنكيسها في الخط عن حالتها في المصحف، وأما في قراءتها فقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ فعله اهـ من كتاب إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى. قال في فتح الباري: وأما ما جاء عن السَّلف من النهي عن قراءة القرآن منكوساً فالمراد به أن يقرأ من آخر السُّورة إلى أولها اهـ. انظر تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة، راجعه فضيلة الشيخ علي محمد الضباع شيخ المقارىء المصرية سابقاً ص ٦٧ ـ ٦٨، طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣ م.



الفصل الرابع

١ ـ عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار.

٢ ـ قصة ابن أبي سرح.

٣ ـ قصة كاتب آخر.

٤ ـ كيفية نزول القرآن من اللوح المحفوظ.

٥ ـ تنبيهات.



الفصل الرابع

عدد المصاحف التي أرسلها عثمان

رضي الله عنه إلى الأمصار

تقدم أن عثمان بن عفان لما فرغ من جمع مصحفه أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسله إلى الآفاق، وقد اختلفوا في عدد المصاحف التي فرقها في الأمصار، فقيل: إنها أربعة وهو الذي اتفق عليه أكثر العلماء، وقيل: إنها خمسة، وقيل: إنها ستة، وقيل: إنها سبعة، وقيل: ثمانية.

أما كونها أربعة فقيل: إنه أبقى مصحفاً بالمدينة وأرسل مصحفاً إلى الشام ومصحفاً إلى الكوفة ومصحفاً إلى البصرة. وأما كونها خمسة فالأربعة المتقدّم ذكرها، والسادس اختلف فيه فقيل: جعله خاصّاً لنفسه وقيل: أرسله إلى البحرين، وأما كونها سبعة فالستة المتقدّم ذكرها والسابع أرسله إلى اليمن وأما كونها ثمانية فالسبعة المتقدم ذكرها، والثامن كان لعثمان يقرأ فيه وهو الذي قتل وهو بين يديه ا. هـ. من نهاية القول المفيد.

وبعث رضي الله عنه مع كل مصحف من يرشد الناس إلى قراءته بما يحتمله رسمه من القراءات مما صحّ وتواتر[1] فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي وأبو

---

(١) وهذا اختلاف قراءات في لغة واحدة لا اختلاف لغات، انظر من الفصل الثاني من الباب الثالث في كتاب تاريخ القرآن للكردي لتقف على سبب اختلاف رسوم هذا المصحف.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي، وعامر بن قيس مع المصحف البصري، وأمر زيد بن ثابت أن يقرىء الناس بالمدني.

ولا ندري لِـمَ لَـمْ يرسل عثمان رضي الله عنه لكل بلدة من البلاد الإسلامية مصحفاً أو بضعة مصاحف، والذي ظهر لي والله تعالى أعلى وأعلم أن ذلك كان لقِلَّةِ النُسَّاخ في عهدهم من ناحية ولعدم وجود الورق عندهم من ناحية أخرى، فقد كانوا يكتبونها على الجلود والعسب واللخاف والأكتاف ونحوها فربما يلزم لكتابة مصحف واحد قنطار من هذه الأشياء.

ولقد وصف الزنجاني مصحف عليّ رضي الله عنه بأنه كان في سبعة أجزاء وقد أتى به يحمله على جمل وهو يقول هذا القرآن جمعته، وروى أن الصاحب بن عبّاد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ كان يحمل معه أسفاره من الأغاني على أربعين جَمَلاً، وذكروا أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كان كثيراً ما يكتب المسائل على العظام حتى ملأ منها خبايا[١].

كل ذلك كان لعدم انتشار الورق عندهم في ذلك العهد، ولا ندري كيف كانوا يعثرون على مسألة من المسائل وهي مكتوبة على نحو العظام واللخاف الأكتاف التي يعسر ترتيبها؟ لا شك أن مراجعتها والوقوف عليها ليس بالهين اليسير، ومع ذلك فقد كانوا أئمة الدين وأنجم الهدى.

والذي نراه أن المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار كتبت على الجلود بالخط الكوفي الذي ما كانوا يعرفون من الخط سواه، وكتبت بغير نقط ولا شكل، ولم يكن فيها علامات للأجزاء والأحزاب ونحوها[*].

---

(١) نستنتج مما ذكر: أن المصاحف التي رفعت على رؤوس الرماح في الحرب بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما سنة ٣٧ البالغ عددها نحو ثلاثمائة مصحف طلباً للهدنة وحقناً للدماء، لم تكن بمصاحف كاملة وإنما هي أجزاء من القرآن مكتوبة على نحو العسب والألواح والأكتاف وبذلك يمكن للرجل رفع ما كتب من القرآن على شيء مما ذكر، فإطلاق المؤرخين رفع المصاحف في هذه الحرب إنما هو من إطلاق الكل وإرادة الجزء والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم وأعدل.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

قصة ابن أبي سرح[1]

قصة ابن أبي سرح، هي مما اتفق عليه أهل العلم، واستفاضت عندهم استفاضة تستغني عن رواية الآحاد كذلك، وذلك أثبت وأقوى مما رواه الواحد العدل، فسنذكرها مشروحة ليتبين وجه الدلالة منها:

عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقّاص قال: لما كان يومُ فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه، ثلاثاً، كلُّ ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على الصحابة فقال: «أمَا كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله» فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك، قال: «إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة الأعين» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

ورواه النسائي كذلك أبسط من هذا عن سعد قال: لمّا كان يومُ فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس إلاّ أربعة نفرٍ، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلّقين بأستار الكعبة: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خَطَلٍ، ومِقيسُ بن حُبابة[2] وعبد الله بن سعد بن أبي سرح.

---

(1) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحراني، الدمشقي المعروف بابن تيمية ٦٦١ ـ ٧٢٨هـ حققه وفصلّه، وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، ص ١٠٩ وما بعدها، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(2) في أصول هذا الكتاب وفي أكثر نسخ سيرة ابن هشام «ابن صبابة» بالصاد المهملة.

فأما عبد الله بن خَطَل فأُدرك وهو متعلّق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حارث وعمّار بن ياسر فسبق سعيدٌ عمّاراً، وكان أشبَّ الرجلين، فقتله.

وأمّا مقيسُ بن حبابة، فأدركه الناس في السُّوق، فقتلوه. وأمّا عكرمة فركب في البحر فأصابتهم عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني في البحر إلاّ الإخلاص لا ينجني في البر غيره، اللهم لك عليّ عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتيَ محمداً حتى أضع يدي في يده، ولأجدنَّه عَفُوّاً كريماً، فجاء وأسلم.

وأمّا عبد الله بن سعد بن أبي سرْح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفّان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناسَ إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ، ثم ذكر الباقي كما رواه أبو داود.

وعن عبد الله بن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرْح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزلّه الشيطان فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان، فأجاره رسول الله، رواه أبو داود.

وروى محمد بن سعد في الطبقات عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيّب أن رسول الله ﷺ أمر بقتل ابن أبي سرح يوم الفتح، وفَرْتَنَى، وابن الزِّبَعْرَى، وابن خَطَل، فأتاه أبو بُردة وهو متعلّق بأستار الكعبة فَبقر بطنه، وكان رجل من الأنصار قد نذر إن رأى ابن أبي سرح أن يقتله، فجاء عثمان - وكان أخاه من الرضاعة - فشَفَعَ له إلى رسول الله ﷺ، وقد أخذ الأنصاريُّ بقائم السيف ينتظر النبيَّ ﷺ متى يومىء إليه أن يقتله، فشفع له عثمان حتى تركه، ثم قال رسول الله ﷺ للأنصاريّ: «هلا وفيت بنذرك» فقال: يا رسول الله وضعتُ يدي على قائم السيف أنتظر متى تُومىء فأقتله، فقال النبي ﷺ: «ليس لنبي أن يُومىء»(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ص ١١١ وما بعدها.

وقال محمد بن إسحاق في رواية ابن بكير عنه: قال أبو عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر وعبد الله بن أبي بكر بن حَزْم: إن رسول الله ﷺ ـ حين دخل مكة، وفرَّق جيوشه ـ أمرهم أن لا يقتلوا أحداً إلاّ مَنْ قاتلهم، إلاّ نفرداً قد سمَّاهم رسول الله ﷺ، وقال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم تحت أستار الكعبة» عبد الله بن خَطَل، وعبد الله بن أبي سرح، وإنما أمر بابن أبي سرْح، لأنه كان قد أسلم، فكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحْيَ، فرجع مشركاً، ولحق بمكة، فكان يقول: إني لأصرفه كيف شئت، إنه ليأمرني أن أكتب له الشيء فأقول له: أو كذا أو كذا، فيقول: نعم، وذلك أن رسول الله ﷺ كان يقول: «عليم حليم» فيقول له أو اكتب: «عزيز حكيم» فيقول له رسول الله ﷺ: كلاهما سواء.

قال ابن إسحاق: حدثني شرحبيل بن سعد أن فيه نزلت: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[1]، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة فرَّ إلى عثمان بن عفان ـ وكان أخاه من الرضاعة ـ فغيَّبهُ عنده حتى اطمأنَّ أهل مكة، فأتى به رسول الله ﷺ فاستأمن له، فصمت رسول الله ﷺ وهو واقف عليه، ثم قال: «نعم» فانصرف به، فلما ولَّى قال رسول الله ﷺ: «ما صمتُّ إلاّ رجاء أن يقوم إليه بعضكم فيقتله»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله ألا أوْمأت إليَّ فأقتله، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ النبيَّ لا يقتل بالإشارة».

وقال ابن إسحاق في رواية إبراهيم بن سعد عنه: حدّثني بعض علمائنا أنَّ ابن أبي سرح رجع إلى قريش فقال: والله لو أشاء لقلتُ كما يقول محمد وجئت بمثل ما يأتي به، إنه ليقول الشيء وأصرفه إلى شيء، فيقول: أصبت، ففيه أنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[2]، فلذلك أمر رسول الله ﷺ بقتله.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٩٣).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٢) سورة الأنعام: الآية (٩٣).

وقال ابن إسحاق عن ابن أبي نُجَيْح قال: كان رسول الله ﷺ عَهِدَ إلى أُمرائه من المسلمين ـ حين أمرهم أن يدخلوا مكة ـ ألاّ يقاتلوا إلاّ أحداً قاتلهم، إلاّ أنه قد عَهِد في نفرٍ سمّاهم، أمر بقتلهم وإن وُجدُوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرْح، وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش، فقال: والله إني لأصرفه حيث أريد، وإنه ليملي علَـيَّ فأقول أو كذا أو كذا فيقول نعم، وذلك أن رسول الله ﷺ كان يُمْلي عليه فيقول: «عزيزٌ حكيم» أو «حكيم حليم» فكان يكتبها على أحد الحرفين، فيقول: «كلٌّ صواب».

وروينا في مغازي معمر عن الزهري في قصّة الفتح قال: فدخل رسول الله ﷺ فأمر أصحابه بالكفّ وقال: «كُفُّوا السلاح» إلاّ خزاعة من بكر ساعةً، ثم أمرهم فكفُّوا، فآمن الناسَ كُلَّهم إلاّ أربعة: ابن أبي سرح، وابن خطل، ومِقْيس الكناني، وامرأة أخرى، ثم قال النبي ﷺ: «إنِّي لم أُحَرِّمْ مكة، ولكن الله حرَّمها، وإنها لم تحِلّ لأحد قبلي، ولا تحلُّ لأحدٍ بعدي إلى يوم القيامة، وإنما أحلَّها الله لي ساعة من نهار»، قال: ثم جاء عثمان بن عفّان بابن أبي سرح فقال: بايعه يا رسول الله، فأعرض عنه، ثم جاءه من ناحية أخرى فقال: بايعه يا رسول الله، فأعرض عنه، ثم جاءه أيضاً فقال: بايعه يا رسول الله، فمدَّ يده، فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أعرضت عنه، وإنّي لأظن بعضكم سيقتله» فقال رجل من الأنصار: فهلاّ أوْمضت إليّ يا رسول الله، فقال: «إنَّ النبيَّ لا يُومضُ» فكأنه رآه غدراً(*).

وفي مغازي موسى بن عُقبة عن ابن شهاب قال: وأمرهم رسول الله ﷺ أن يكفُّوا أيديَهُمْ فلا يقاتلوا أحداً إلاَّ مَنْ قاتلهم، وأمرهم بقتل أربعة منهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح والحُوَيْرِثُ بن نقيد[1] وابن خطل

(*) نفس المصدر السابق ص ١١٣ وما بعدها.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(١) وكذا هنا، وفي ص ١٢٧: «ابن معبد».

ومِقيسُ بن حُبابة أحد بني ليث، وأمر بقتل قينتين لابن خَطَل تُغنّيان بهجاء رسول الله ﷺ في قتل النفر، وأن يقتل عبد الله بن أبي سرح، وكان ارتدَّ بعد الهجرة كافراً، فاختبأ حتى اطمأنَّ الناس، ثم أقبل يريد أن يُبايع بعد الهجرة كافراً، فاختبأ حتى اطمأنَّ الناس، ثم أقبل يريد أن يُبايع رسول الله ﷺ، فأعرض عنه ليقوم رجل من أصحابه فيقتله، فلم يقم إليه أحد، ولم يشعروا بالذي في نفس رسول الله ﷺ، فقال أحدهم: لو أشر إليّ يا رسول الله ضربتُ عنقه، فقال: «إنَّ النبيَّ لا يفعل ذلك» ويقال: أجاره عثمان بن عفّان ـ وكان أخاه من الرضاعة ـ وقُتِلَتْ إحدى القينتين وكمنت[1] الأخرى حتى استُؤمن لها.

وذكر محمد بن عائذ في مغازيه هذه القصّة مثلَ ذلك وذكر الواقدي عن أشياخه قالوا: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فربَّما أملى عليه رسول الله ﷺ: «سميعٌ عليم» فيكتب: «عليمٌ حكيم» فيقرأه رسول الله ﷺ فيقول: كذا قال الله، ويقره، فافتتن وقال: ما يدري محمد ما يقوله، إني لأكتب له ما شئتُ، هذا الذي كَتبتُ يُوحَى إليّ كما يُوحَى إلى محمد، وخرج هارباً من المدينة إلى مكة مُرْتدّاً، فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح، فلما كان يومئذٍ جاء ابن أبي سرح إلى عثمان بن عفان ـ وكان أخاه من الرضاعة ـ فقال: يا أخي إني والله أستجير بك، فاحبسني هاهنا واذهب إلى محمد فكلِّمه فِيَّ، فإن محمداً إن رآني ضرب الذي فيه عيناي، إن جُرمي أعظم الجرم، وقد جئتُ تائباً.

فقال عثمان: بل اذهب معي.

قال عبد الله: والله لئن رآني ليضربنَّ عنقي، ولا يُنْظِرُني، فقد أهدر دمي، وأصحابه يطلبونني في كلِّ موضع.

فقال عثمان: انطلق معي فلا يقتلك إن شاء الله، فلم يَرُعْ رسول الله ﷺ إلاّ عثمان آخذاً بيد عبد الله بن سعد بن أبي سرح واقفين بين يديه،

---

(١) كمنت: أي اختبأت واختفت.

فأقبل عثمان على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أُمُّهُ كانت تحملني وتمشيه، وترضعني وتُفْطِمهُ، وكانت تُلطِّفني وتتركه، فهبْه لي، فأعرض رسول الله ﷺ، وجعل عثمان كلما أعرض عنه رسول الله ﷺ بوجهه استقبله فيعيد عليه الكلام، وإنما أعرض النبيُّ ﷺ إرادة عثمان أن يقوم رجل فيضرب عنقه، لأنه لم يؤمنه، فلما رأى أن لا يقوم أحد وعثمان قد أكبَّ على رسول الله ﷺ يُقبِّل رأسه وهو يقول: يا رسول الله بايعه فداك أبي وأُمِّي، فقال النبي ﷺ: نعم، ثم التفت إلى أصحابه فقال: ما منعكم أن يقوم رجل منكم إلى هذا الكلب فيقتله، أو قال الفاسق، فقال عباد بن بشر: ألاَ أومأت إليّ يا رسول الله، فوالذي بعثك بالحق إني لأتبع طرْفك من كلٌ ناحية رجاء أن تشير إليَّ فأضرب عنقه(*)، ويقال: هذا هذا أبو اليسر، ويقال: عمر بن الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أقتل بالإشارة». وقائل يقول: إن النبي ﷺ قال يومئذ: «إن النبيَّ لا تكون له خائنة الأعين». فبايعه رسول الله ﷺ، فجعل يفرُّ مِنْ رسول الله ﷺ كلَّما رآه، فقال عثمان لرسول الله ﷺ: بأبي وأُمي لو ترى ابن أم عبد الله يفر منك كلّما رآك، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «ألم أبايعه وأومنه؟» قال: بلى يا رسول الله، يتذكر عظيم جُرْمِهِ في الإسلام، فقال النبيُّ ﷺ: «الإسلام يَجُبُّ ما قبله» فرجع عثمان إلى ابن أبي سرح فأخبره، فكان يأتي فيسلِّمُ على النبي ﷺ مع الناس.

فوجه الدِّلالة أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح افترى على النبي ﷺ أنه كان يُتمِّمُ له الوحي ويكتب له ما يريد، فيوافقه عليه، وأنه يُصَرِّفُهُ حيث شاء، ويُغَيِّرُ ما أمره به من الوحي، فَيقِرُّه على ذلك، وزعم أنه سينزل مثل ما أنزل الله، إذ كان قد أُوحى إليه في زعمه كما أُوحِي إلى رسول الله ﷺ، وهذا الطعن على رسول الله ﷺ وعلى كتابه والافتراء عليه بما يُوجب الريب في نبوّته قدرٌ زائد على مجرّد الكفر به والرِّدَّة في الدين، وهو من أنواع السبّ.

(*) نفس المصدر السابق ص ١١٥ وما بعدها.

وكذلك ما افترى عليه كاتب آخر مثلَ هذه الفرية، فصمه الله وعاقبه عقوبة خارجة عن العادة لكل أحد افترى، إذ كان مثلُ هذا يُوجب في القلوب المريضة ريباً بأن يقول القائل: كاتبه أعلم الناس بباطنه وبحقيقة أمره، فقد أخبر عنه بما أخبر، فمن نصر الله لرسوله أن أظهر آية تبين بها أنه مفترٍ(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

قصة كاتب آخر

روى البخاري في صحيحه عن عبد العزيز بن صُهيْب عن أنس قال: كان رجل نصراني، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانياً، فكان يقول: لا يدري محمد إلاّ ما يكتبُ له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشُوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه.

ورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرةَ عن ثابت عن أنس قال: كان منا رجل من بني النَّجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فرفعوه، قالوا: هذا كان يكتب لمحمد، فأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه، فحفروا له فَوَارَوْهُ فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروْه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذاً(*).

فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كَتَبَ له، قصمه الله وفضح أمره بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفِنَ مراراً، وهذا أمر خارجٍ عن العادة، يدلُّ كلَّ أحدٍ على أنَّ هذا كان عقوبة لِمَا قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامَّةُ الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرّد الارتداد، إذ كان عامَّة المرتدِّين يموتون ولا يصيبهم مثلُ هذا، وأنَّ الله مُنْتَقِمٌ لرسوله مِمَّنْ طعن عليه وسبَّهُ، ومُظهِرٌ لدينه ولكذب الكاذب، إذا لم يمكن الناس أن يُقيمُوا عليه الحد.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

واعلم أن افتراء ابن أبي سرح والكاتب الآخر النصراني على رسول الله ﷺ بأنه كان يتعلَّم منهما افتراء ظاهر(*). وكذلك قوله: «إني لأصرفه كيف شئت، وإنه ليأمرني أن أكتب له الشيء فأقول له أو كذا أو كذا فيقول نعم» فِرْيةٌ ظاهرة، فإن النبيَّ ﷺ كان لا يكتبه إلاّ ما أنزله الله، ولا يأمره أن يكتب قرآناً إلاّ ما أوحاه الله إليه، ولا ينصرف له كيف شاء، بل ينصرف كما يشاء الله.

وكذلك قوله: «إني لأكتب ما شئت، هذا الذي كتبت يُوحَى إليّ كما يُوحَى إلى محمد، وأنَّ محمداً إذا كان يتعلَّم مني فإني سأنزل مثل ما أنزل الله». فريةٌ ظاهرة، فإن النبيّ ﷺ لم يكن يكتبه ما شاء، ولا كان يُوحَى إليه شيء.

وكذلك قول النصراني: «ما يدري محمد إلاَّ ما كتبت له» من هذا القبيل، وعلى هذا الافتراء حاق به العذاب، واستوجب العقاب.

ثم اختلف أهل العلم: هل كان النبي ﷺ أقَرَّهُ على أن يكتب شيئاً غير ما ابتدأه النبي ﷺ بإكتابه؟ وهل قال له شيئاً؟ على قولين:

أحدهما: أن النصراني وابن أبي سرح افتريا على رسول الله ﷺ ذلك كله، وأنه لم يَصْدُرْ منه قول فيه إقرار على كتابه غير ما قاله أصلاً، وإنما لمّا زيّن لهما الشيطان الرِّدَّة افتريا عليه لينفِّرا عنه الناس، ويكون قبول ذلك منهما متوجهاً، لأنهما فارقاه بعد خِبْرة، وذلك أنه لم يخبر أحد أنه سمع النبي ﷺ يقول له: هذا الذي قلته ـ أو كتبته ـ صواب، وإنما هو حال الرِّدَّة أخبر أنه قال له ذلك وهو إذ ذاك كافر عدوٌّ يفتري على الله ما هو أعظم من ذلك.

يبيِّن ذلك أن الذي في الصحيح أن النصراني يقول: ما يدري محمد إلاَّ ما كتبتُ له، نعم ربما كان هو يكتب غير ما يقولُه النبي ﷺ ويغيِّره ويزيده وينقصه، فظن أن عمدة النبي ﷺ على كتابه مع ما فيه من التبديل،

(*) نفس المصدر السابق ص ١١٩ وما بعدها.

ولم يدر أن كتاب الله آيات بيِّناتٌ في صدور الذين أُوتُوا العلم، وأنه لا يغسله الماء وأن الله حافظ له، وأن الله يقرىء نبيه فلا ينسى إلاّ ما شاء الله مما يريد رفعه ونسخ تلاوته، وأن جبريل كان يعارض النبيّ ﷺ بالقرآن كل عام، وأن النبيَّ ﷺ إذا نزل عليه آية أقرأها لعدد من المسلمين بتواتر نقل الآية بهم، وأكثر من نقل مَنْ هذه القصة من المفسِّرين ذكر أنه كان يُمْلِي عليه: «سميعاً عليماً» فيكتب هو: «عليماً حكيماً»، وإذا قال: «عليماً حكيماً» كتب هو: «غفوراً رحيماً» وأشباه ذلك، ولم يذكر أن النبيَّ ﷺ قال له شيئاً(*).

قالوا: وإذا كان الرجل قد عُلِمَ أنه من أهل الفِرْيَةَ والكذب حتى أظهر الله على كذبه آية بيِّنة، والروايات الصحيحة المشهورة لم تتضمَّن إلاّ أنه قال عن النبي ﷺ ما قال، وأنه كتب ما شاء، فقد عُلِمَ أن النبيَّ ﷺ لم يقل له شيئاً.

قالوا: وما رُوِيَ في بعض الروايات أن النبيَّ ﷺ قال فهو منقطع أو مُعَلَّل، ولعلَّ قائله قاله بناء على أن الكاتب هو الذي قال ذلك، ومثلُ هذا يلتبس الأمر فيه، حتى اشتبه ما قاله النبي ﷺ وما قيل إنه قال رد على هذا القول فلا سؤال.

القول الثاني: أن النبي ﷺ قال له شيئاً، فروى الإمام أحمد وغيره من حديث حماد بن سَلَمة أخبرنا ثابت عن أنس أن رجلاً كان يكتُبُ لرسول الله ﷺ، فإذا أملى عليه: «سميعاً عليماً» يقول كتبت: «سميعاً بصيراً»، قال: دَعْهُ، وإذا أملى عليه: «عليماً حكيماً» كتب: «عليماً حليماً» قال حماد نحو ذا.

قال: وكان قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان مَنْ قرأهما فقد قرأ قرآناً كثيراً، فذهب فتنصَّر وقال: لقد كنت أكتب لمحمدٍ ما شئت، فيقول: «دَعْهُ» فمات فدفن، فنبذته الأرض مرّتَين أو ثلاثاً، وقال أبو طلحة: فلقد رأيته منبوذاً فوق الأرض، رواه الإمام أحمد.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٢١ وما بعدها.

وحدّثنا يزيد بن هارون حدّثنا حُمَيْد عن أنس أن رجلاً كان يكتب لرسول الله ﷺ، وقد قرأ البقرة وآل عمران، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا، يعني عَظُمَ، فكان النبيُّ ﷺ يُمْلي عليه: «غفوراً رحيماً» فيكتب: «عليماً حكيماً» فيقول له النبي ﷺ: اكتب كذا وكذا، اكتب كيف شئت، ويُمْلِي عليه: «عليماً حكيماً» فيكتب: «سميعاً بصيراً» فيقول: اكتب كيف شئت، فارتدَّ ذلك الرجل عن الإسلام، فلحق بالمشركين، وقال: أنا أعلمكم بمحمدٍ إن كنت لأكتب كيف شئت، فمات ذلك الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الأرض لا تقبله»(*).

قال أنس: فحدَّثني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها ذلك الرجل، فوجده منبوذاً، قال أبو طلحة: ما شأن هذا الرجل؟ قالوا: قد دَفَنَّاه مراراً فلم تقبله الأرض، فهذا إسناد صحيح.

... والذي ذكرنا في حديث ابن إسحاق والواقديِّ وغيرهما موافقٌ لظاهر هذه الرواية، وكذلك ذكرت طائفة من أهل التفسير، وقد جاءت آثار فيها بيان صفة الحال على هذا القول، ففي حديث ابن إسحاق: ذلك أن رسول الله ﷺ كان يقول: «عليم حكيم»، فيقول أو: «اكتب عزيز حكيم» فيقول له رسول الله ﷺ: «نعم كلاهما سواء».

وفي الرواية الأخرى: وذلك أن رسول الله ﷺ كان يُمْلِي عليه فيقول: «عزيز حكيم» أو «حكيم عليم» فكان يكتبها على أحد الحرفين، فيقول: «كلٌّ صواب»(*).

ففي هذا بيان لأن كلا الحرفين كان قد نزل، وأن النبيَّ ﷺ يقرأهما ويقول: «اكتب كيف شئت من هذين الحرفين فكلٌّ صواب»(*) وقد جاء مصرحاً عن النبي ﷺ أنه قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرفٍ كلُّها شافٍ كافٍ، إن قلت عزيز حكيم، أو غفور رحيم فهو كذلك، ما لم تختم آية

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٢٣ وما بعدها.

رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة» وفي حرف جماعة من الصحابة: ﴿إن تعذّبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم﴾[1].
والأحاديث في ذلك منشرة تدلُّ على أن من الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن أن يختم الآية الواحدة بعدة أسماء من أسماء الله على سبيل البدل يخيَّرُ القارىء في القراءة بأيّها شاء، وكان النبي ﷺ يُخيِّرُهُ أن يكتب ما شاء من تلك الحروف، وربما قرأها النبيُّ ﷺ بحرفٍ من الحروفِ فيقول له: «أو اكتب كذا وكذا» لكثرة ما سمعَ النبيُّ ﷺ يخيِّره بين الحرفين، فيقول له النبيُّ ﷺ: «كلاهما سواء» لأن الآية نزلت بالحرفين، وربما كتب هو أحَدَ الحرفين ثم قرأه على النبي ﷺ، فأقرَّه عليه، لأنه قد نزل كذلك أيضاً، وخَتْمُ الآي بمثل: «سميع عليم» و «عليم حليم» و «غفور رحيم» أو بمثل: «سميع بصير» أو «عليم حليم» أو «حكيم حليم» كثيرة في القرآن، وكان نزول الآية على عدّة من هذه الحروف أمراً معتاداً، ثم إن الله نَسَخَ بعض تلك الحروف لمّا كان جبريل يعارض النبيَّ ﷺ بالقرآن في كلِّ رمضان، وكانت العرضة الأخيرة هي حرف زيد بن ثابت الذي يقرأ الناسُ به اليوم، وهو الذي جمع عثمانُ والصحابة رضي الله عنهم أجمعين عليه الناسَ، ولهذا ذكر ابن عباس هذه القصة في الناسخ والمنسوخ، وكذلك ذكرها الإمام أحمد في كتابه الناسخ المنسوخ لتضمنها نسخ بعض الحروف.

وروى فيها وجه آخر رواه الإمام أحمد في الناسخ والمنسوخ: حدّثنا مسكين بن بكير ثنا معان قال: وسمعت خلفاً يقول: كان ابن أبي سرح كتب للنبي ﷺ القرآن. فكان رُبَّمَا سأل النبيّ ﷺ عن خواتيم الآي «يعملون» و «يفعلون» ونحو ذا، فيقول له النبيّ ﷺ: «اكتب أيَّ ذلك شئت»، قال: فيوفِّقُهُ الله للصواب من ذلك، فأتى أهل مكة مرتدّاً، فقالوا: يابن أبي سرح كيف كنت تكتب لابن أبي كَبْشة القرآن؟[*].

قال: أكتبه كيف شئتُ، قال: فأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ

---

(١) سورة المائدة: الآية (١١٨) والذي في المصحف: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾[1]، الآية كلها.

قال النبيُّ ﷺ يوم فتح مكة: «مَنْ أَخَذَ ابن أبي سرح فليضرب عُنقهُ حيثما وجده، وإن كان مُتَعلِّقاً بأستار الكعبة».

ففي هذا الأثر أنه كان يسأل النبيّ ﷺ عن حرفين جائزين فيقول له: «اكتب أيَّ ذلك شئت» فيوفقه الله للصواب، فيكتب أحَبَّ الحرفين إلى الله، وكان كلاهما منزلاً، أو يكتب ما أنزله الله فقط إن لم يكن الآخر مُنْزَلاً، وكان هذا التخيير من النبيّ ﷺ إمَّا توسعة إن كان الله قد أنزلهما، أو ثقة بحفظ الله وعِلْماً منه بأنه لا يكتب إلاَّ ما أنزل، وليس هذا يذكر في كتاب تولى الله حِفْظَهُ وضمن أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[*].

وذكر بعضهم وجهاً ثالثاً، وهو أنه رُبَّمَا كان يسمع النبيَّ ﷺ بمكة الآية حتى لم يبقَ منها إلاَّ كلمة أو كلمتان، فيستدل بما قرأ منها على باقيها كما يفعله الفِطنُ الذكيُّ، فيكتبه ثم يقرأه على النبيّ ﷺ فيقول: «كذلك أنزِلتْ» كما اتفق ذلك لعمر في قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[2].

ومن الناس مَنْ قال قولاً آخر، قال: الذي ثبت في رواية أنس أنه كان يعرض على النبي ﷺ ما كتبه بعدما كَتبه فيُمْلِي عليه «سميعاً عليماً» فيقول: قد كُتبت: «سميعاً بصيراً» فيقول: «دَعْهُ» أو: «اكتب كيف شئت» وكذلك في حديث الواقدي أنه كان يقول: «كذلك أنزل الله» ويُقِرُّه.

قالوا: وكان النبيّ ﷺ به حاجةٌ إلى مَنْ يكتب، لِقلَّةِ الكُتَّاب في الصحابة، وعدم حضور الكُتَّاب منهم في وقت الحاجة إليهم، فإن العرب كان الغالبُ الأمِّيَّةَ حتى إن كان الجو العظيم يطلب فيه كاتب فلا يُوجد، وكان أحدهم إذا أراد كتابة وجد مشقة حتى يحصل له كاتب، فإذا اتفق للنبيّ ﷺ مَنْ يكتب له انتهز الفرصة في كتابته، فإذا زاد الكاتب أو نقص

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٩٣).

(*) نفس المصدر السابق ص ١٢٤، ١٢٥.

(٢) سورة المؤمنون: الآية (١٤).

تركه لحِرْصِهِ على كتابة ما يُمْليه، ولا يأمره بتغيير ذلك خوفاً من ضجره وأن يقطع الكتابة قبل إتمامها ثقة منه ﷺ بأن تلك الكلمة أو الكلمتين تُسْتَدْرَكُ فيما بعد بالإلقاء إلى من يتلَقنُهَا منه أو بكتابتها تعويلاً على المحفوظ عنده وفي قلبه[*]. كما قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ[1] إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾[2].

والأشبه والله أعلم هو الوجه الأول، وأن هذا كان فيما أنزل القرآن فيه على حروف عِدَّة، فإن القول المرضِـيَّ عند علماء السلف الذي يدلُّ عليه عامة الأحاديث وقراءات الصحابة أن المصحف الذي جمع عثمانُ الناس عليه هو أحد الحروف السبعة، وهو العرضة الأخيرة، وأن الحروف السبعة خارجة عن هذا المصحف، وأن الحروف السبعة كانت تختلف الكلمة مع أن المعنى غير مختلف ولا متضاد...

هذا والله أعلى وأعلم، وأحكم وأعدل.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٢٥ وما بعدها.

(١)(٢) سورة الأعلى: الآيتان (٦ ، ٧).

كيفية نزول القرآن من اللوح المحفوظ

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال:

أحدها: وهو الأصح والأشهر: أنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة أو ثلاثة وعشرين أو خمسة وعشرين على حسب الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة.

أخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في أثر بعض»[1].

وأخرج الحاكم والبيهقي أيضاً والنسائي أيضاً من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر. ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة، ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[2]، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[3]، أخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وفي آخره: فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً.

وأخرج الحاكم وابن أبي شيبة من طريق حسان بن حريث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «فُصِلَ القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج ١ ص ٥٣ وما بعدها.

(٢) سورة الفرقان: الآية (٣٣).

(٣) سورة الإسراء: الآية (١٠٦).

من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبيّ ﷺ» أسانيدها كلها صحيحة.

وأخرج الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم أنزل نجوماً» إسناده لا بأس به.

وأخرج الطبراني والبزار من وجه آخر عنه قال: «أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزل به جبريل على محمد ﷺ بجواب كلام العباد».

وأخرج ابن أبي شيبة في فضائل القرآن من وجه آخر عنه: دفع إلى جبريل في ليلة القدر جملة واحدة فوضعه في بيت العزّة، ثم جعل ينزله تنزيلاً(*).

وأخرج ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق السدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس، أنه سأل عطية بن الأسود فقال: أوقع في قلبي الشك قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ وهذا أنزل في شوال وفي ذي القعدة وذي الحجة وفي المحرّم وصفر وشهر ربيع، فقال ابن عباس: أنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام.

قال أبو شامة: قوله رسلاً: أي رفقاً، وعلى مواقع النجوم: أي على مثل مساقطها، يريد أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على ما وقع مفرّقاً يتلو بعضه بعضاً على تؤدة ورفق(*).

القول الثاني: أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة القدر، وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل سنة، ثم

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

أنزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة، وهذا القول ذكره الإمام فخر الدين الرّازي بحثاً فقال: يحتمل أنه كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس إلى إنزاله إلى مثلها من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم توقف هل هذا أولى أو الأول؟.

قال ابن كثير: وهذا الذي جعله احتمالاً نقله القرطبي عن مقاتل بن حيان، وحكى الإجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة في السماء الدنيا.

قلت: وممن قال بقول مقاتل الحليمي والماوردي، ويوافقه قول ابن شهاب آخر القرآن عهداً بالعرش آية الدين.

القول الثالث: أنه ابتدىء إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات وبه قال الشعبي. قال ابن حجر في شرح البخاري: والأول هو الصحيح المعتمد. قال: وقد حكى الماوردي قولاً رابعاً أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظة نجّمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجّمه على النبيّ ﷺ في عشرين سنة، وهذا أيضاً غريب. والمعتمد أن جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل به في طول السنة.

وقال أبو شامة كأن صاحب هذا القول أراد الجمع بين القولين الأول والثاني. قلت: هذا الذي حكاه الماوردي أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: نزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجّمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجّمه جبريل على النبيّ ﷺ عشرين سنة(*).

هذا والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

تنبيهـــات

التنبيه الأول: قيل السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر مَنْ نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قربناه إليهم لننزله عليهم ولولا أن الحكمة الإلّهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين إنزاله جملة ثم إنزاله مفرّقاً تشريفاً للمنزل عليه. ذكر ذلك أبو شامة في المرشد الوجيز(*).

وقال الحكيم الترمذي: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا تسليماً منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظّ بمبعث محمد ﷺ، وذلك أن بعثة محمد ﷺ كانت رحمة، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاء بمحمد ﷺ وبالقرآن، فوضع القرآن ببيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حد الدنيا، ووضعت النبوّة في قلب محمد، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحي، كأنه أراد تعالى أن يُسَلِّم هذه الرحمة التي كانت حظّ هذه الأمة من الله إلى الأمة.

وقال السخاوي في جمال القرّاء: في نزوله إلى السماء جملة تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة أن تشيّع سورة الأنعام، وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السفرة الكرام وإنساخهم

(*) نفس المصدر السابق ص ٥٥ وما بعدها.

إياه وَتلاوتهم له. قال: وفيه أيضاً التسوية بين نبينا ﷺ وبين موسى عليه السلام في إنزاله كتابه جملة. والتفضيل لمحمد في إنزاله عليه منجماً ليحفظه.

وقال أبو شامة: فإن قلت: فقوله تعالى: : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ من جملة القرآن الذي نزل جملة أم لا؟ فإن لم يكن منه فما نزل جملة، وإن كان منه فما وجه صحة هذه العبارة؟.

قلت: له وجهان:

أحدهما: أن يكون معنى الكلام أنا حكمنا بإنزاله في ليلة القدر وقضيناه وقدّرناه في الأزل.

والثاني: أن لفظه لفظ الماضي ومعناه الاستقبال: أي ننزله جملة في ليلة القدر، اهـ.

التنبيه الثاني: قال أبو شامة أيضاً: الظاهر أن نزوله جملة إلى سماء الدنيا قبل ظهور نبوّته ﷺ قال: ويحتمل أن يكون بعدها. قلت: الظاهر هو الثاني، وسياق الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه.

وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد خرّج أحمد والبيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع أن النبيّ ﷺ قال: «أنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشر خلت منه، والزبور لثمان عشر خلت منه، والقرآن لأربع وعشرين خلت منه» وفي رواية: «وصحف إبراهيم لأول ليلة».

قال: وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، ولقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ فيحتمل أن يكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا، ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول «اقرأ باسم ربك». قلت: لكن يشكل على هذا ما اشتهر من أنه ﷺ بعث في شهر ربيع. ويجاب عن هذا بما ذكروه بأنه نبيء أولاً بالرؤيا في شهر مولده ثم كانت مدّتها ستة أشهر ثم أوحي إليه في اليقظة» ذكره البيهقي وغيره.

نعم يشكل على الحديث ما أخرجه ابن أبي شيبة في فضائل القرآن عن أبي قلابة قال: أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان(*).

التنبيه الثالث: قال أبو شامة أيضاً: فإن قيل: ما السرّ في نزوله منجماً؟ وهلاّ أنزل كسائر الكتب جملة؟ قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ يعنون كما أنزل على مَنْ قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أنزلناه كذلك مفرّقاً ـ لنثبّت به فؤادك أي لنقوّيَ به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدّد في كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشدّ عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملَك إليه وتجدُّد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل. وقيل معنى لنثبت به فؤادك: أي لتحفظه، فإنه عليه الصلاة والسلام كان أمّيّاً لا يقرأ ولا يكتب، ففرّق عليه ليثبّت به عنده حِفْظُهُ بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حِفْظُ الجميع.

وقال ابن فورك: قيل: أنزلت التوراة جملة لأنها على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى، وأنزل القرآن مفرّقاً لأنه أنزل غير مكتوب على نبيّ أمّيّ(*).

وقال غيره: إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ، ولا يأتي ذلك إلاّ فيما أنزل مفرّقاً. ومنه ما هو جواب لسؤال ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فعل فعل وقد تقدم ذلك في قول ابن عباس: ونزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم، وفسّر به قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أخرجه عنه ابن أبي حاتم. فالحاصل أن الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مفرقاً.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

تفريع: فقد دلّت الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة، خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة، وصح نزول ـ غير أولي الضرر ـ وحدها وهي بعض آية. وكذا قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ إلى آخر الآية نزلت بعد نزول أول الآية، وذلك بعض آية.

وأخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف عن عكرمة في قوله ـ بمواقع النجوم ـ قال: أنزل الله القرآن نجوماً ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات. وقال النكزاوي في كتاب الوقف: كان القرآن ينزل مفرّقاً، الآية والآيتين والثلاث والأربع وأكثر من ذلك.

وما أخرجه ابن عساكر من طرق أبي نضرة قال: «كان أبو سعيد الخدري يُعلِّمُنَا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات»(*).

وما أخرجه البيهقي في الشعب عن طريق أبي خلدة عن عمر قال: «تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبيّ ﷺ خمساً خمساً».

ومن طريق ضعيف عن عليّ قال: أنزل القرآن خمساً خمساً إلاّ سورة الأنعام، ومن حفظ خمساً خمساً لم ينسه.

فالجواب أن معناه إن صح إلقاؤه إلى النبيّ ﷺ هذا القدر حتى يحفظه ثم يلقي إليه الباقي لإنزاله بهذا القدر خاصة.

ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقي أيضاً عن خالد بن دينار قال: قال لنا أبو العالية: تعلّموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن النبيّ ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً.

(*) نفس المصدر السابق ص ٥٧ وما بعدها.

المسألة الثانية في كيفية الإنزال والوحي:

قال الأصفهاني أوائل تفسيره: اتفق أهل السُّنَّة والجماعة على أن كلام الله منزل واختلفوا في معنى الإنزال.

فمنهم من قال: إظهار القراءة.

ومنهم من قال: إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عالٍ من المكان وعلمه قراءته، ثم جبريل أدَّاه في الأرض وهو يهبط في المكان.

وفي التنزيل طريقان:

أحدهما: أن النبيّ ﷺ انخلع من صورته البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل.

والثاني: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه، والأول أصعب الحالين ا.هـ.

وقال الطيبي: لعل نزول القرآن على النبي ﷺ أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفاً روحانيّاً، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول فيلقيه عليه..

وقال القطب الرازي في حواشي الكشاف: والإنزال لغة بمعنى الإيواء، وبمعنى تحريك الشيء من العلو إلى أسفل، وكلاهما يتحققان في الكلام فهو مستعمل فيه في معنى مجازي، فمن قال: القرآن معنى قائم بذات الله تعالى، فأنزله أي يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ.

ومن قال: القرآن هو الألفاظ. فإنزاله مجرّد إثباته في اللوح المحفوظ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولاً عن المعنيين اللغويين.

... (قلت): ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً: «إذ تكلم الله بالوحي

أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صُعِقُوا وخرُّوا سجّداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به على الملائكة فكلّما مرّ بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا؟ قال: الحق، فينتهي به حيث أمر».

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السّلسلة على الصفوان، فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة» وأصل الحديث في الصحيح. وفي تفسير عليّ بن سهل النيسابوري: قال جماعة من العلماء: نزل القرآن جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت يقال له بيت العِزّة فحفظه جبريل، وغشي على أهل السموات منه هيبة كلام الله، فمرّ بهم جبريل وقد أفاقوا وقالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، يعني القرآن، وهو معنى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ فأتى به جبريل إلى بيت العِزّةِ فأملاه على السفرة الكتبة - يعني الملائكة - وهو معنى قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾(*).

وقال الجويني: كلام الله المنزل قسمان: قسم قال الله لجبريل: قل للنبي الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول افعل كذا وكذا وأمر بكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبيّ وقال له ما قاله ربّه، ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول المَلِكُ لمن يثق به قل لفلان يقول لك المَلِكُ اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال، فإن قال الرسول يقول المَلِكُ لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند تتفرّق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة. وقسم آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبيّ هذا الكتاب، فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير، كما يكتب المَلِكُ كتاباً ويُسلّمه إلى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغيّر منه كلمة ولا حرفاً ا.هـ. (قلت): القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السُّنَّة كما ينزل بالقرآن، ومن هنا جاز رواية السُّنَّة بالمعنى، لأن جبريل أدّاها

(*) نفس المصدر السابق ص ٥٩ وما بعدها.

بالمعنى، ولم تجز القراءة بالمعنى لأن جبريل أدّاه باللفظ ولم يبح له إيحاءه بالمعنى(*).

والسرّ في ذلك أن المقصود منه التعبّد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وإن تحت كل حرفٍ منه معاني لا يحاط بها كثرة فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظه الموحى به. وقسم يروونه بالمعنى. ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشقّ.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

الفصل الخامس

١ ـ معرفة المكّي والمدني.

٢ ـ اصطلاحات المكّي والمدني.

٣ ـ ضوابط المكّي والمدني.

٤ ـ مميّزات المكّي.

٥ ـ مميّزات المدني.

٦ ـ ما تأخر نزوله عن حكمه.

٧ ـ ما تأخر حكمه عن نزوله.



معرفـــــة
المكـــي والمـــدني(١)

أفرده بالتصنيف جماعة منهم مكّي والعزّ الدريني.

قال أبو القاسم النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكّي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكّي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشَيّعاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السُّور المكية، والآيات المكيات في السُّور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة المكية، والآيات المكيات في السُّور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسّراً، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكّي. فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميِّز بينها لم يحلّ له أن يتكلم في كتاب الله تعالى مفسّراً ا.هـ.

وقال ابن العربي في كتابه ـ الناسخ والمنسوخ ـ الذي علمناه على الجملة من القرآن أن منه مكّيا ومدنيّاً، وسفريّاً وحضاريّاً وليليّاً ونهاريّاً،

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج ١ ص ١١ ط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ الطبعة الرابعة ـ سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م.

وسمائيّاً وأرضيّاً، وما نزل بين السماء والأرض، وما نزل تحت الأرض في الغار.

وقال ابن النقيب في مقدمة تفسيره: المنزل من القرآن على أربعة أقسام: مكّي، ومدني، وما بعضه مكّي وبعضه مدني، وما ليس بمكّي ولا مدني(*).

(*) نفس المصدر السابق ص ١٢.

اصطلاحات
المكّـــي والمـــــدني

اعلم أن للناس في المكّي والمدني اصطلاحات ثلاثة:

الأول: وهو الأشهر أن المكّي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.

أخرج عثمان بن سعيد الرازي بسنده إلى يحيى بن سلام قال: ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكّي. وما نزل على النبيّ ﷺ في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني. وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكّي اصطلاحاً.

الثاني: أن المكّي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، وعلى هذا تثبت الواسطة، فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكّي ولا مدني وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة: مكة، والمدينة، والشام».

قال الوليد: يعني بيت المقدس. وقال الشيخ عماد الدين أبي الفدا بن كثير بل تفسيره بتبوك أحسن. قلت: ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية، وفي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأُحد وسلع.

الثالث: أن المكّي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً

لأهل المدينة، وحمل على هذا قول ابن مسعود الآتي: قال القاضي أبو بكر في الانتصار: إنما يرجع في معرفة المكّي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك قولاً لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول ا.هـ.

وقد أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال: «والذي لا إلّه غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلاّ وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت؟. وقال أيوب: «سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال: نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار إلى سلع». أخرجه أبو نعيم في الحلية(*).

قال أبو الحسن بن الحصّار في كتابه الناسخ والمنسوخ: المدني باتفاق عشرون سورة، والمختلف فيه اثنا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكّي باتفاق(*): ثم نظم في ذلك أبياتاً فقال:

يا سائلي عن كتاب الله مجتهداً ... وعن ترتيب ما يتلى من السور

وكيف جاء بها المختار من مضر ... صلى الإلّه على المختار من مضر

وما تقدم منها قبل هجرته ... وما تأخر في بدو وفي حضر

ليعلم النسخ والتخصيص مجتهد ... يؤيد الحكم بالتاريخ والنظر

تعارض النقل في أم الكتاب وقد ... تؤولت الحجر تنبيهاً لمعتبر

أم القرآن وفي أمّ القرى نزلت ... ما كان للخمس قبل الحمد من أثر

وبعد هجرة خير الناس قد نزلت ... عشرون من سور القرآن في عشر

فأربع من طوال السبع أوّلها ... وخامس الخمس في الأنفال ذي العبر

وتوبة الله إن عدت فسادسة ... وسورة النور والأحزاب ذي الذكر

وسورة لنبيّ الله محكمة ... والفتح والحجرات الغر في غرر

(*) نفس المصدر السابق ص ١٥ وما بعدها.

ثم الحديد يتلوها مجادلة … والحشر ثم امتحان الله للبشر

وسورة فضح الله النفاق بها … وسورة الجمع تذكاراً لمدَّكر

وللطلاق وللتحريم حكمها … والنصر والفتح تنبيهاً على العمر

هذا الذي اتفقت الرواة له … وقد تعارضت الأخبار في أخر

فالرعد مختلف فيها متى نزلت … وأكثر الناس قالوا الرعد كالقمر

ومثلها سورة الرحمن شاهدها … مما تضمن قول الجن في الخبر

وسورة للحواريين قد علمت … ثم التغابن والتطيف ذو النذر

وليلة القدر قد خصت بملتنا … ولم يكن بعدها الزلزال فاعتبر

وقل هو الله من أوصاف خالقنا … وعوذتان ترد البأس بالقدر

وذا الذي اختلف فيه الرواة له … وربما استثنيت آي من السُّورِ

وما سوى ذاك مكّي تنزله … فلا تكن من خلاف الناس في حصر

فليس كل خلافٍ جاء معتبراً … إلاّ خلاف له حظ من النظر(*)

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

ضوابط المكّي والمدني

ما كان، يا أيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة، ومكان يا أيها الناس فبمكة.

وعن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن. يا أيها الناس، أو يا بني آدم فإنه مكّي، وما كان. يا أيها الذين آمنوا فإنه مدني.

قال ابن عطية وابن الغرس وغيرهما: هو في يا أيها الذين آمنوا صحيح، وأما يا أيها الناس فقد يأتي في المدني.

وقال ابن الحصار: وقد اعتنى المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث واعتمدوه على ضعفه، وقد اتفق الناس على أن النساء مدنية وأولها يا أيها الناس، وعلى أن الحج مكية وفيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾.

وقال غيره: هذا القول إن أخذ على إطلاقه فيه نظر، فإن سورة البقرة مدنية وفيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وسورة النساء مدنية وأولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾(*).

وقال مكّي: هذا إنما هو في الأكثر وليس بعام وفي كثير من السور المكية يا أيها الذين آمنوا.

وقال غيره: الأقرب حمله على أنه خطاب المقصود به أهل مكة أو المدينة.

(*) نفس المصدر السابق ص ٢٢ وما بعدها.

وقال القاضي: إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فمسلّم، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف، إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم وباسمهم وجنسهم، ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها، نقله الإمام فخر الدين في تفسيره.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما نزل بمكة، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة.

وقال الجعبري: لمعرفة المكّي والمدني طريقان: سماعي وقياسي. فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي كل سورة فيها يا أيها الناس فقط، أو كلاّ، أو أولها حرف تهجّ سوى الزهراوين فإنهما مدنيتان بالإجماع وفي الرعد خلاف.

كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة أيضاً وكلّ سورة من المفَصّل فهي مكية وهذا يحمل على الغالب الكثير من سورة المفصّل لا على جميع سور المفصّل وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية ا. هـ.

وقال مكّي: كلّ سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية: وزاد غيره سوى العنكبوت، والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الأحد عشر الأولى منها فإنها مدنية وهي التي ذكر فيها المنافقون.

وفي كامل الهذلي: كل سورة فيها سجدة فهي مكية، وقد وقعت آيات السجدة في القرآن في أربعة عشر موضعاً في تسع سور على خلاف بين الفقهاء(*). وقال الديريني رحمه الله:

وما نزلت كَلاً بيثرب فاعلمن ... ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

وحكمة ذلك أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة وأكثرها جبابرة فتكرّرت فيها على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول، وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم، ذكره العماني.

تنبيه:

قد تبيّن بما ذكرناه من الأوجه التي ذكرها ابن حبيب المكّي والمدني وما اختلف فيه ترتيب نزول ذلك، والآيات المدنيات في السُّور المكية، والآيات المكيات في السُّور المدنية.

وبقي أوجه تتعلق بهذا النوع فنذكرها وأمثلتها. مثال ما نزل بمكة وحكمه مدني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ..﴾ الآية، نزلت بمكة يوم الفتح، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة، وقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ كذلك. قلت: وكذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ في آيات أخر.

ومثال ما نزل بالمدينة وحكمه مكّي: سورة الممتحنة[1] فإنها نزلت بالمدينة مخاطبة لأهل مكة.

وقوله في ـ النحل ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ...﴾ إلى آخرها نزلت بالمدينة مخاطباً به أهل مكة وصدر براءة نزل بالمدينة خطاباً لمشركي أهل مكة.

ومثال ما يشبه تنزيل المدني في السُّور المكية قوله في النجم: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ فإن الفواحش كل ذنب فيه حد، والكبائر كل ذنب عاقبته النار، واللمم ما بين الحدين من الذنوب، ولم يكن بمكة حدّ ولا نحوه. ومثال ما يشبه تنزيل مكة في السُّور المدنية قوله: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾، وقوله في الأنفال: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ..﴾ الآية.

---

(١) نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين دفع كتابه إلى قريش يخبرها بمسير النبيّ إلى مكة.

ومثال ما حمل من مكة إلى المدينة سورة يوسف والإخلاص. قلت: وسبح لما تقدم في حديث البخاري(*).

ومثال ما حمل من المدينة إلى مكة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ..﴾ وآية الربا وصدر براءة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ..﴾ الآيات.

ومثال ما حمل إلى الحبشة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ..﴾ الآيات. قلت: صح حملها إلى الروم، وينبغي أن يمثل لِمَا حمل إلى الحبشة بسورة مريم، فقد صح أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي. وأخرجه أحمد في مسنده. وأما ما أنزل بالجحفة والطائف وبيت المقدس والحديبية فسيأتي في النوع الذي يلي هذا، ويضم إليه ما نزل بمنى وعرفات وعسفان وتبوك وبدر وأحد وحراء وحمراء الأسد(*).

وأما ما نزل بالجحفة فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ نزلت بالجحفة في سفر الهجرة كما أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك.

وفي الطائف قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ..﴾ الآية. قال ابن حبيب: نزلت بالطائف ولم أحصل على مستند.

وفي بيت المقدس قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ الآية. قال ابن حبيب: نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ..﴾ الآية، نزلت بالحديبية كما أخرجه أحمد عن كعب بن عجرة الذي نزلت فيه، والواحدي عن ابن عباس.

وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن الزهري أنها نزلت بأسفل الحديبية. وسورة الكوثر. أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها نزلت يوم الحديبية. وفيه نظر.

(*) نفس المصدر السابق ص ٢٤.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ..﴾ الآية، نزلت بمنى عام حجة الوداع فيما أخرجه البيهقي في الدلائل.

وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ في الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع. وأما ما قيل غير ذلك فليس بصحيح.

وقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية، نزلت بعسفان بين الظهر والعصر كما أخرجه أحمد عن أبي عياش الزرقي.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا.﴾ الآية، أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت لما خرج النبيُّ ﷺ معتمراً وهبط من سنية عسفان فزار قبر أمه واستأذن في الاستغفار لها.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نزلت في غزوة تبوك كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر(*).

وقوله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ أخرج أبو الشيخ والبيهقي في الدلائل من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم نزلت في تبوك.

وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق يعقوب عن مجاهد عن أبي حرزة قال: نزلت في رجل من الأنصار في غزوة تبوك لمّا نزلوا الحجر، فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً ثم ارتحل ثم نزل منزلاً آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك، فدعا فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من المنافقين: إنما مطرنا بنوء كذا، فنزلت ومنها: سورة المنافقين. أخرج الترمذي عن زيد بن أرقم أنها نزلت ليلاً في غزوة تبوك. ومنها أول الأنفال نزلت ببدر عقب الواقعة.

(*) نفس المصدر السابق ص ٢٦ وما بعدها.

كما أخرجه سعد بن أبي وقاص. ومنها: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ..﴾ الآية، نزلت ببدر أيضاً، كما أخرجه الترمذي عن عمر(*).

وقوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ..﴾ الآيات، قال القاضي جلال الدين البلقيني: الظاهر أنها نزلت يوم بدر وقت المبارزة لِمَا فيه من الإشارة بهذان. ومنها: أول الروم، روى الترمذي عن أبي سعيد قال: لمّا كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت، ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ قال الترمذي: غلبَت يعني بالفتح، وقوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ ..﴾ الآية، قيل: إنها نزلت يوم بدر، حكاه ابن الغرس، وهو مردود لما سيأتي في النوع الثاني عشر، ثم رأيت عن ابن عباس ما يؤيده ومنها خاتمة النحل. أخرج البيهقي في الدلائل والبزار عن أبي هريرة أنها نزلت بأحد والنبي ﷺ واقف على حمزة حين استشهد، وأخرج الترمذي والحاكم عن أبيّ بن كعب أنها نزلت يوم فتح مكة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية. أخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس أنها نزلت بحمراء الأسد. وأول سورة اقرأ نزلت بغار حراء كما في الصحيحين. وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ..﴾ الآية. أخرج الواحدي عن ابن أبي مليكة أنها نزلت بمكة يوم الفتح لَمَّا رقي بلال على ظهر الكعبة وأذن فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذّن على ظهر الكعبة...

وأما النومي: فمن أمثلته سورة الكوثر، لِما روى مسلم عن أنس قال: «بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذا غفا إغفاءة ثم رفع رأسه متبسّماً، فقلنا: ما أضحككا يا رسول الله، فقال: أنزل عَلَـيَّ آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾. وقال الرافعي في أماليه: فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة. وقالوا: من الوحي ما كان يأتيه في النوم، لأن رؤيا الأنبياء وحي(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ص ٣٠.

قال: وهذا صحيح، ولكن الأشبه أن يقال: إن القرآن كله نزل في اليقظة، وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة فقرأها عليهم وفسَّرها لهم.

قال: ورد في بعض الروايات أنه أغمي عليه، وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه ﷺ عند نزول الوحي ويقال لها: برحاء الوحي، ا.هـ.

قلت: الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه، هو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه، والتأويل الأخير أصح من الأول لأن قوله: «أنزل عليه آنفاً يدفع كونها نزلت عليه قبل ذلك» بل نقول نزلت تلك الحالة ليس الإغفاء إغفاء النوم، بل الحالة التي كانت تعتريه ﷺ عند نزول الوحي، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا(*) إلى غير ذلك من أماكن النوازل القرآنية.

هذا والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

مميزات المكـــــي

١ ـ نرى المكي غالباً يعالج موضوع بناء العقيدة بطريقة وحدانية وعقلية وموضوعية الأساس في اختصار كما يقول الشهيد سيد قطب: (حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وحقيقة العلاقات، وتعريف الناس بربهم الحق الذي ينبغي أن يدينُوا له ويعبدوه، ويتبعوا أمره وشرعه وتنحية كل ما أدخل على العقيدة الفطرية الصحيحة من عبث ودخَل وانحراف والتواء، وردُّ الناس إلى إلٓههم الحق الذي يستحق الدينونة لربوبيّته)(*).

٢ ـ ونرى في هذا النوع من القرآن جدالاً للمشركين يبين خطأهم الواضح، وإلغاءهم العقل، واتباعهم العادات المألوفة التي وجدوا عليها آباءهم ونرى فيه هجوماً عنيفاً على الشرك والوثنية والعادات القبيحة، وزجراً وتهديداً ووعيداً للكافرين.

٣ ـ ونرى أن المكي يغلب على آياته القصر، وتكثر فيه كلمة «كلاّ» كما يكثر فيه افتتاح السُّور بالحروف المقطعة من أمثال: «قٓ»، و «حٰمٓ»، و «كٓهيٰعٓصٓ» وأسلوب عرضه مسوح عميق الإيثار، بالغ التأثير.

٤ ـ ونرى أن القرآن المكي يكثر من عرض قصص المكذبين.

(*) انظر مورد الظمآن في علوم القرآن لمؤلفه صابر حسن محمد أبو سليمان المدرس بكلية أصول الدين ـ قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ص ٢٦ وما بعدها. طبع الدار السلفية ـ الهند ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م.

٥ ـ ونلاحظ أن هذه الأغراض وغيرها عرضت بأسلوب يناسبها، فليس من شك في أن موضوع النص يحدد لون الأسلوب وطريقته، ولهذا فإننا نرى أن الآيات في القرآن المدني يغلب عليها الطول. ولكن أسلوب القرآن في النوعين: المكي والمدني يبقى هو الأسلوب المعجز الذي تميَّز عن أساليب البشر ويبقى هو الأسلوب الذي بلغ الذروة في الجمال والبيان والروعة[*].

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

مميـــزات المـــدني

١ ـ نرى المدني غالباً يعالج بناء المجتمع المسلم والأسرة المسلمة بتفصيل أحكام الشريعة في نواحي الحياة المختلفة، من معاملات وزواج وطلاق وميراث، وكانت هذه الأحكام مبنية على العقيدة ومنبثقة منها.

٢ ـ ونرى في هذا النوع من القرآن فضحاً للمنافقين وكشفاً لمؤامراتهم، وعرضاً لتناقضاتهم وتسفيهاً لشعاراتهم المخادعة التي يطرحونها.

٣ ـ ونرى فيه مجادلة لأهل الكتاب، ومناقشة لآرائهم التي تتعارض أحياناً مع حقائق التاريخ.

٤ ـ ونرى فيه ذكراً لأحكام الجهاد والحرب والسلم والهدنة مما يتصل بشؤون الدولة المسلمة وعلاقتها الدولية.

ما تأخر نزوله عن حكمه

ومن أمثلته آية الوضوء، ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت: «سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ ونزل فثنى رأسه في حجري راقداً، وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة، ثم إن النبيّ ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ..﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾، فالآية مدنية إجماعاً، وفرض الوضوء كان بمكّة مع فرض الصلاة.

قال ابن عبد البر: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصلّ منذ فرضت عليه الصلاة إلاّ بوضوء، ولا يدفع ذلك إلاّ جاهل أو معاند(*).

قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدّم العمل به ليكون فرضه متلوّاً بالتنزيل.

وقال غيره: يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدّماً مع فرض الوضوء ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمّم في هذه القصة.

قلت: يردُّه الإجماع على أن الآية مدنيّة.

ومن أمثلته أيضاً: آية الجمعة، فإنها مدنيّة والجمعة فرضت بمكة. وقول ابن الغرس: إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قط، يرده ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الآذان يستغفر لأبي أمامة

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

أسعد بن زرارة، فقلت: يا أبتاه أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلّما سمعت النداء بالجمعة لِمَ هذا؟.

قال: أي بنيّ، كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ من مكة.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ..﴾ الآية، فإنها نزلت سنة تسع وقد فرضت الزكاة قبلها في أوائل الهجرة.

قال ابن الحصار: فقد يكون مصرفها قبل ذلك معلوماً ولم يكن فيه قرآن متلوّ، كما كان الوضوء معلوماً قبل نزول الآية ثم نزلت تلاوة القرآن تأكيداً به(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

ما تأخر حكمه عن نزوله

قال الزركشي في البرهان: ثقد يكون النزول سابقاً على الحكم كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ[1] * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[2]، فقد روى البيهقي وغيره عن ابن عمر: أنها في زكاة الفطر.

وأخرج البزّار نحوه مرفوعاً. وقال بعضهم: لا أدري ما وجه هذا التأويل لأن السورة مكّية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولا صوم.

وأجاب البغوي: بأنه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ[3] * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾[4]، فالسورة مكية وقد ظهر أثر الحلّ يوم فتح مكة حتى قال عليه الصلاة والسلام: «أحلّت لي ساعة من نهار».

وكذلك نزلت بمكّة: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[5]، قال عمر بن الخطاب: فقلت: أيّ جمع؟ فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرتُ إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتا بالسيف يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ فكانت ليوم بدر. أخرجه الطبراني في الأوسط.

وكذلك قوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾[6]، قال قتادة: وعده الله وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جنداً من المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر. أخرجه ابن أبي حاتم.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(١)(٢) سورة الأعلى: الآيتان (١٤، ١٥).

(٣)(٤) سورة البلد: الآيتان (١، ٢).

(٥) سورة القمر: الآية (٤٥).

(٦) سورة صٓ: الآية (١١).

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[1].

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود في قوله: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ قال: السيف، والآية مكية متقدِّمة على فرض القتال. ويؤيد تفسير ابن مسعود ما أخرجه الشيخان من حديثه أيضاً قال: «دخل النبيّ ﷺ مكّة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً، فجعل يطعنها بعود كان في يده ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

وقال ابن الحصار: قد ذكر الله الزكاة في السور المكّيات كثيراً تصريحاً وتعريضاً بأن الله سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه ويظهر حتى يفرض الصلاة والزّكاة وسائر الشرائع، ولم تؤخذ الزّكاة إلاَّ بالمدينة بلا خلاف، وأورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، وقوله في سورة المزمل: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ومن ذلك قوله فيها: ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فقد قالت عائشة وابن عمر وعكرمة وجماعة: إنها نزلت في المؤذّنين، والآية مكّية، ولم يشرع الأذان إلا بالمدينة[*].

---

(١) سورة سبأ: الآية (٤٩).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.



الفصل السادس

١ ـ أسباب النزول.

٢ ـ خصوص السبب وعموم الصيغة.

٣ ـ تنبيهات.

٤ ـ ما تكرر نزوله.



أسـباب النـــزول

قد جعل الله لكل شيء سبباً كما جعل لكل قدراً، فما يبصر مولود نور الحياة إلاَّ بعد أسباب وأطوار، ولا يقع حدث في الوجود إلا إثر مقدمات وإرهاصات، ولا تتغيَّر الأنفس والآفاق إلاّ عقب سلسلة من التمهيد والإعداد.

سُنَّة الله في خلقه، فلن تجد لسُنَّة الله تبديلاً ولن تجد لسُنَّة الله تحويلاً.

ولا شيء كالتاريخ يشهد بصدق هذه السُنَّة وانطباقها على واقع الحياة فما يسع مؤرخاً ثاقب النظر دقيق الاستنتاج أن يجهل أسباب الحوادث ودوافعها إن أراد الوصول إلى الحقائق التاريخية الثابتة من خلال الوثائق والنصوص(*).

لكن التاريخ لا ينفرد وحده بالحاجة إلى استنباط النتائج من خلال المقدمات، واستنباط الحقائق من مضمون الأسباب بل العلوم الطبيعية والدراسات الاجتماعية والفنون الأدبية تشارك التاريخ كذلك في تطلّعها إلى معرفة الأسباب والمسببات، واستشرافها إلى العلم بالمبدىء والغايات.

قال الجعبري: نزول القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء غير مبني على سبب من سؤال وحادثة، كأكثر الآيات المشتملة على قصص الأمم الغابرة مع أنبيائها، أو وصف بعض الوقائع الماضية، أو الأخبار الغيبية

---

(١) انظر مورد الظمآن في علوم القرآن لمؤلفه صابر حسن محمد أبو سليمان المدرس في كلية أصول الدين ـ قسم القرآن وعلومه ص ٢٩ وما بعدها.

المستقبلية، أو تصوير قيام الساعة، أو مشاهد القيامة، أو أحوال النعيم والعذاب، وهي في القرآن كثيرة أنزلها الله لهداية الخلق إلى الصراط المستقيم وجعلها مرتبطة بالسياق القرآني سابقه ولاحقه، من غير أن تكون إجابة عن سؤال أو بياناً لحكم شيء وقع.

وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال وهذا محل البحث غير أننا لا نريد أن نستعرض جميع الآيات التي جاءت على أسباب، فذلك شيء بعيد المدى إنما الغرض أن نحيطك علماً بما يمكن إحاطته من أسباب النزول.

زعم بعض الناس أنه لا فائدة للإلمام بأسباب النزول وأنها لا تعدو أن تكون تاريخاً للنزول أو جارية مجرى التاريخ وقد أخطأ فيما زعم، فإن لأسباب النزول فوائد متعدّدة(*).

الفائدة الأولى: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

الثانية: تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

الثالثة: أن يكون اللفظ عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعيّ وإخراجها بالاجتهاد ممنوع، كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب، ولا التفات إلى من شذّ فجوّز ذلك.

الرابعة: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال. قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.

وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قويّ في فهم معاني القرآن(*).

وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. وقد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) انظر الإتقان للسيوطي جـ ١ ص ٣٨ وما بعدها، وانظر مورد الظمآن في علوم القرآن تأليف صابر حسن محمد أبو سليمان ص ٣٠ وما بعدها.

تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وقال: لئن كان كلُّ امرىء فرح بما أوتي وأحبَّ أن يحمد بما لم يفعل معذَّباً لنعذبنَّ أجمعون. حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبيّ ﷺ عن شيء فكتموه إيّاه وأخبروه بغيره وأَرَوْهُ أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه. أخرجه الشيخان.

وحكي عن عثمان بن مظعون وعمر بن معدي كرب أنهما كانا يقولان الخمر مباحة ويحتجان بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾[2] الآية، ولو علما سبب نزولها لم يقولا ذلك، وهو أن أناساً قالوا لمّا حُرِّمت الخمر: كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟ فنزلت، أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾[3]، فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآيــة لا عدّة عليها إذا لم ترتب، وقد بيّن ذلك سبب النزول. وهو أنه لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن الصغار والكبار فنزلت. أخرجه الحاكم عن أُبـيّ، فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهنّ في العدّة وارتاب هل عليهنّ عدّة أو لا؟ وهل عدّتهنّ كاللاتي في سورة البقرة أو لا؟.

فمعنى: إن ارتبتم، إن أشكل عليكم حكمهنّ وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهنّ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[4]، فإنا لو تركنا

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٨٨).

(٢) سورة المائدة: الآية (٩٣).

(٣) سورة الطلاق: الآية (٤).

(٤) سورة البقرة: الآية (١١٥).

مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلّي لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً وهو خلاف الإجماع، فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها. ذلك أنها نزلت لما صلى النبي ﷺ على راحلته، وهو مستقبل من مكة إلى المدينة حيث توجهت به، فعلم أن هذا هو المراد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية[1]، فإن ظاهر لفظها لا يقتضي فرضية السّعي، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسّكاً بذلك، وقد ردّت عائشة على عروة في فهمه ذلك بسبب نزولها وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه كان من عمل الجاهلية فنزلت.

الخامسة: دفع توهم الحصر: قال الشافعي ما معناه في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية[2]، أن الكفار لما حرّموا ما أحلّ الله وأحلّوا ما حرّم الله وكانوا على المضادة والمحادة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا حرّمتموه ولا حرام إلاّ ما أحللتموه نازلة منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة فتقول لا آكل اليوم إلاّ حلاوة، والغرض المضادّة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه تعالى قال: لا حرام إلاّ ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حلّ ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحلّ.

قال إمام الحرمين: وهذا في غاية الحسن، ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرّمات فيما ذكرته الآية.

السادسة: معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها، ولقد قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر: إنه الذي أنزل فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾[3]، حتى ردت عليه عائشة وبيّنت له سبب نزولها.

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٥٨).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٤٥).

(٣) سورة الأحقاف: الآية (١٧).

خصوص السبب وعموم الصيغة

قد يكون السبب خاصّاً والصيغة عامة، لينبّه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فمن ذلك آيات الظهار في أوائل سورة المجادلة، نزلت في أوس بن الصامت، فقد ظاهر من امرأته فحرّمها على نفسه كظهر أمه، وصرّحت الآيات بأن كفارة الظهار تحرير رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً، ثم وقعت لسلمة بن صخر واقعة مماثلة، فظاهر من امرأته حتى ينسلخ شهر رمضان فلما سأل النبيّ ﷺ عن شأنه أفتاه بما أنزل الله في أوس.

ولم يكن حديث سلمة سبب نزول الآيات ولكن حديث أوس كان سبب نزولها، بيد أن العلماء اتفقوا على تعدية هذه الآيات إلى غير أسبابها فقالوا في أوائل تفسيرها على سبل التجوّز: نزلت آيات الظهار في سلمة بن صخر.

وفي حديث الإفك: نزل حد القذف في رماة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وكان رماتها معلومين ولكن حدّ القذف تعداهم إلى غيرهم، رغم ارتكابهم أقبح قذف وأوقحه لأنهم رَمَوْا أم المؤمنين، ومَنْ رَمَى أُمَّ قوم فقد رماهم، حتى جاءت عبارة الآية عامّة جمعت في لفظ المحصنات، عائشة مع غيرها فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الآية[1]

والقول بتعدية الآيات إلى غير أسبابها جرّ الجمهور إلى الأخذ بعموم اللفظ بدلاً من خصوص السبب، قال الزمخشري في سورة الهمزة يجوز أن يكون خاصّاً والوعيد عامّاً ليتناول كل مَنْ باشر ذلك القبيح.

---

(١) سورة النور: الآية (٤).

من ذلك أيضاً: ما أخرجه البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس: «أن هلال بن أميّة قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سمحاء، فقال النبي ﷺ: البيِّنة أو حدّ في ظهرك، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البيّنة؟ فأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ...﴾[1]، حتى بلغ: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال: جاء عويمر إلى عاصم بن عديّ فقال: اسأل رسول الله ﷺ: أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً يقتله أيقتل به أم كيف يصنع؟.

فسأل عاصم رسول الله ﷺ، فعاب السائل، فأخبره عاصم عويمَر فقال: والله لآتينّ رسول الله ﷺ فلأسألنه، فأتاه فقال: إنه لقد نزل فيك وفي صاحبتك قرآن، الحديث. جمع بينهما بأن أول من وقع ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معاً، وإلى هذا جنح النووي، وسبقه الخطيب فقال: لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد.

وأخرج البزّار عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «لو رأيت مع أم رومان رجلاً ما كنت فاعلاً به؟ قال: شرّاً، قال: فأنت يا عمر؟ قال كنت أقول: لعن الله الأعجز وإنه لخبيث، فنزلت».

قال ابن حجر: لا مانع من تعدد الأسباب. وقد ورد عن ابن عباس ما يدل على اعتبار العموم، فإنه قال به في آية السرقة مع أنها نزلت في امرأة سرقت.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، عن نجدة الحنفي قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ خاص أم عام؟ قال: بل عام(*).

وقال ابن تيمية: قد يجيء كثيراً من هذا الباب قولهم هذه الآية نزلت

---

(١) سورة النور: الآية (٦).

(*) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ ص ٤٠ وما بعدها.

في كذا، لا سيّما إن كان المذكور شخصاً كقولهم: إن آية الظهار نزلت في امرأة ثابت بن قيس، وإن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله وإن قوله: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ نزلت في بني قريظة والنضير، ونظائر ذلك مما يذكرون أنه نزل في قوم من المشركين بمكة أو في قوم من اليهود والنصارى، أو في قوم من المؤمنين، فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق، والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختصّ بسببه؟ فلم يقل أحد إن عمومات الكتاب والسُّنَّة تختص بالشخص المعيّن، وإنما غاية ما يقال إنها تختصّ بنوع ذلك الشخص فتعمّ ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ والآية التي لها سبب معيّن إن كانت أمراً أو نهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كانت بمنزلته، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلتها. ا. هـ(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

تنبيهات

أولاً: قد علمت مما ذكر أن فرض المسألة في لفظ له عموم، إما آية نزلت في معيّن ولا عموم للفظها فإنها تقصر عليه قطعاً كقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى[1] * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[2]، فإنها نزلت في أبي بكر الصدِّيق بالإجماع، وقد استدل بها الإمام فخر الدين الرازي - مع قوله -: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]، على أنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، ووهِمَ من ظنّ أنّ الآية عامّة في كل من عمل عمله إجراء له على القاعدة، وهذا غلط، فإن هذه الآية ليس فيها صيغة عموم، إذ الألف واللاّم إنما تفيد العموم إذا كانت موصولة، أو معرّفة في جمع، زاد قوم: أو مفرد بشرط أن لا يكون هناك عهد، واللاّم في الأتقى، ليست موصولة لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعاً، والأتقى - ليست جمعاً بل هو مفرد، والعهد موجود خصوصاً مع ما يفيد صيغة أفعل من التمييز وقطع المشاركة، فبطل القول بالعموم وتعيّن القطع بالخصوص والقصر على مَنْ نزلت فيه رضي الله عنه.

تقدّم أن صورة السبب قطعية الدخول في العام، وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة رعاية لنظم القرآن وحسن السياق، فيكون ذلك الخاص قريباً من صورة السبب في كونه قطعيّ الدخول في العام، كما اختار السبكي أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق التجرّد. مثال قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(1)(2) سورة الليل: الآيتان (17، 18).

(3) سورة الحجرات: الآية (13).

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[1]، فإنها إشارة إلى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لمّا قدِموا مكة وشاهدوا قتلى بدر حرّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبيّ ﷺ، فسألوهم مَنْ أهدى سبيلاً محمد وأصحابه أم نحن؟ فقالوا: أنتم، مع علمهم بما في كتابهم من نعت النبيّ ﷺ المنطبق عليه وأخذ المواثيق عليهم أن لا يكتموه فكان ذلك أمانة لازمة لهم ولم يؤدوها حيث قالوا للكفار: ـ أنتم أهدى سبيلاً ـ حسداً للنبيّ ﷺ فقد تضمّنت هذه الآية مع هذا القول المتوعد عليها المفيد للأمر بما يقابله المشتمل على أداء الأمانة التي هي بيان صفة النبيّ ﷺ بإفادة أنه الموصوف في كتابهم، وذلك مناسب لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[2]، فهذا عام في كل أمانة، وذاك خاصّ بأمانة هي صفة النبيّ ﷺ بالطريق السابق، والعام تالٍ للخاص في الرسم متراخٍ عنه في النزول، والمناسبة تقتضي دخول ما دل عليه الخاص والعام.

ولذا قال ابن العربي في تفسيره وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد ﷺ، وقولهم: إن المشركين أهدى سبيلاً، فكان ذلك خيانة منهم، فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات، ا. هـ.

وقال بعضهم: ولا يردّ تأخير نزول آية الأمانات عن التي قبلها بنحو ست سنين، لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول لا في المناسبة، لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها، والآيات كانت تنزل على أسبابها، ويأمر النبيّ ﷺ بوضعها في المواضع التي علم من الله أنها مواضعها.

وقال الواحدي: لا يحلّ القول في أسباب نزول الكتاب إلاّ بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها.

وقد قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن.

---

(١) سورة النساء: الآية (٥١).

(٢) سورة النساء: الآية (٥٨).

وقال غيره: معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا، وربما لم يجزم بعضهم فقال: أحسب هذه الآية نزلت في كذا كما أخرجه الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة، فقال النبيّ ﷺ: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمتك فتلوّن وجهه «الحديث».

قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلاّ نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية[1].

قال الحاكم في علوم الحديث: إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند، ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره، ومثلوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأة من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ..﴾[2].

وقال ابن تيمية: قولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول عني بهذه الآية كذا، وقد تنازع العلماء في قول الصحابي نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يدخله في المسند. وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم كلّهم يدخلون مثل هذا في المسند، ا.هـ.

وقال الزركشي في البرهان: قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذ قال: نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذاالحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع(*).

---

(١) سورة النساء: الآية (٦٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٢٣).

(*) نفس المصدر السابق ص ٤٢ وما بعدها.

قلت: والذي يتحرّر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسير سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[1]، سبب اتخاذه خليلاً فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى.

ثانياً: ما تقدم أنه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضاً لكنه مرسل، فقد يقبل إذا صح المسند إليه وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك.

كثيراً ما يذكر المفسّرون لنزول الآية أسباباً متعدِّدة، وطريق الاعتماد في ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة، فإن عبر أحدهم بقوله نزلت في كذا والآخر نزلت في كذا وذكر أمراً آخر فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما. . . وإن عبّر واحد بقوله نزلت في كذا وصرح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد، وذاك استنباط مثاله: ما أخرجه البخاري عن ابن عمر، قال: أنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[2]، في إتيان النساء في أدبارهن.

وتقدم عن جابر التصريح بذكر سبب خلافه، فالمعتمد من حديث جابر لأنه نقل، وقول ابن عمر استنباط منه، وقد وهمه فيه ابن عباس وذكر مثل حديث جابر كما أخرجه أبو داود والحاكم[*].

وإن ذكر واحد سبباً وآخر سبباً غيره، فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً دون الآخر فالصحيح المعتمد.

مثاله: ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن جندب: «اشتكى النبيّ ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلاَّ قد

---

(١) سورة النساء: الآية (١٢٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٢٣).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

تركك، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1].

وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة عن حفص بن ميسرة عن أُمّه عن أُمّها وكانت خادم رسول الله ﷺ: أنَّ جرواً دخل بيت النبيّ ﷺ فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبيّ ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ؟ جبريل لا يأتيني، فقلت في نفسي: لو هيّأت البيت وكنسته، فأهويت المكنسة تحت السرير فأخرجت جرواً فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته، وكان إذا نزل عليه أخذته الرعدة، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ..﴾ إلى قوله: ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾ وقال ابن حجر في شرح البخاري، قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب، وفي إسناده مَنْ لا يعرف فالمعتمد ما في الصحيح.

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها بضعة عشر شهراً وكان يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾[2].

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عمر قال: نزلت: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ أن تصلّي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع، وأخرج الترمذي وضعفه من حديث عامر بن ربيعة قال: كنا في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة، فصلّى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت.

والثاني صحيح لكنه قال: قد أنزلت في كذا ولم يصرّح بالسبب. والأول صحيح الإسناد وصرّح فيه بذكر السبب فهو المعتمد.

---

(١) سورة الضحى: الآيات: (١، ٢، ٣).

(٢) سورة البقرة: الآية (١١٥).

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه ابن مردويه، وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد تعال نتمسّح بآلهتنا وندخل معك في دينك وكان يحبّ إسلام قومه فرقّ لهم. فأنزل الله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

وهذا يقتضي نزولها بمكة وإسناده حسن، وله شاهد عند أبي الشيخ عن سعيد بن جبير يرتقي به إلى درجة الصحيح فهو المعتمد.

وإن يستوي الإسنادان في الصحة فيرجّح أحدهما بكون راويه حاضر القصة أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات.

مثاله ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبيّ ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه؟ فقالوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2].

وأخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: اسألوه عن الرُّوح، فسألوه، فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية، فهذا يقتضي أنها نزلت بمكة، والأول خلافه وقد رجّح بأن ما رواه البخاري أصحّ من غيره وبأن ابن مسعود كان حاضر القصّة[*].

ما حُمِلَ على تعدّد النزول وتكرّره.

---

(١) سورة الإسراء: الآيات (٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٨٥).

(*) نفس المصدر السابق ص ٤٤ وما بعدها.

مثاله: ما أخرجه الشيخان عن المسيّب قال: «لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أميّة فقال: أي عمّ قل لا إلّه إلاّ الله أحاجّ لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال: هو على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية.

وأخرج الترمذي وحسنه عن علي قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت.

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال: خرج النبيّ ﷺ يوماً إلى المقابر، فجلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً، ثم بكى فقال: إن القبر الذي جلست عنده قبر أمّي، وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي، فأنزلت عَلَيَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾[1] فجمع بين هذه الأحاديث بتعدد النزول.

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه البيهقي والبزّار عن أبي هريرة: «أن النبيّ ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مُثّل به فقال: لأمثّلنّ بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبيّ ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ...﴾[2]، الآيات إلى آخر السورة.

وأخرج الترمذي والحاكم عن أُبيّ بن كعب قال: لمّا كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم: حمزة فمثّلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربينّ عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ..﴾ الآية فظاهره تأخير نزولها إلى الفتح، وفي الحديث الذي قبله نزولها بأحد.

---

(١) سورة التوبة: الآية (١١٣).

(٢) سورة النحل: الآيات (١٢٦، ١٢٧، ١٢٨).

قال ابن الحصار: ويجمع أنها نزلت أولاً بمكة قبل الهجرة مع السورة لأنها مكّية، ثم ثانياً بأحد، ثم ثالثاً يوم الفتح تذكيراً من الله لعباده وجعل ابن كثير من هذا القسم آية الرُّوح.

وكما ثبت في الصحيحين عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1] الآية، فقال الرجل: إليّ هذا؟ فقال: بل لجميع أُمتي فهذا كان في المدينة، والرجل قد ذكره الترمذي وغيره أنه أبو اليسر.

التنبيه الأول: اختلف علماء الأصول: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب[*].

فذهب الجمهور إلى الأول، وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها كنزول آيات الظهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية وحدّ القذف في رماة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ثم تعدى إلى غيرهم وقد تقدّم بسط الكلام في ذلك وذهب البعض إلى أن العبرة بخصوص السبب ومعنى هذا أن لفظ الآية يكون مقصوراً على الحادثة التي نزل هو لأجلها أمّا أشباهها فلا يعلم حكمها من نصّ الآية، إنما يعلم بدليل مستأنف آخر، وهو القياس إذا استوفى شروطه أو نصّ كقوله ﷺ: «حكمي على الواحد حكمي على الجماعة» فآية القذف السابقة النازلة بسبب حادثة هلال مع زوجته خاصة بهذه الحادثة وحدها «على هذا الرأي».

أمّا حكم غيرها مما يشابهها، فإنما يعرف قياساً عليها أو عملاً بالحديث المذكور.

الثاني: إن هذا الخلاف القائم بين الجمهور وغيرهم، محلّه إذا لم

---

(١) سورة هود: الآية (١١٤).

(*) انظر مورد الظمآن في علوم القرآن تأليف صابر حسن أبو سليمان ص ٣٧ وما بعدها.

تقم قرينة على تخصيص لفظ الآية العام بسبب نزوله، وأمّا إذا قامت تلك القرينة فإن الحكم يكون مقصوراً على سببه لا محالة، بإجماع العلماء.

الثالث: كما يجب أن نلاحظ أيضاً إلى حكم النصّ العام الوارد على سبب يتعدّى عند هؤلاء وهؤلاء إلى أفراد غير السبب بيد أن الجمهور يقولون إنه يتناولهم بهذا النص نفسه، وغير الجمهور يقولون إنه لا يتناولهم إلاّ قياساً أو بنصّ آخر كالحديث المعروف(*): «حكمي على الواحد حكمي على الجماعة».

وصفوة القول:

أن ثمرة هذا الخلاف ترجع إلى أمرين:

أحدهما: أن الحكم على أفراد غير السبب مدلول عليه بالنصّ النازل فيه عند الجمهور. وذلك النص قطعيّ المتن اتفاقاً، وقد يكون مع ذلك قطعي الدلالة. أما غير الجمهور فالحكم عندهم على غير أفراد السبب ليس مدلّلاً عليه بذلك النص بل بالقياس أو الحديث المعروف، وكلاهما غير قطعي.

الثاني: أن أفراد غير السبب كلّها يتناولها الحكم عند الجمهور ما دام اللفظ قد تناولها. أما غير الجمهور فلا يسحبون الحكم إلاّ على ما استوى شروط القياس منها دون سواه. وإن أخذوا فيه بالقياس..

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

ما تكرر نزوله

صرح جماعة من المتقدّمين والمتأخرين بأن من القرآن ما تكرر نزوله.

وقال ابن الحصار: قد يتكرّر نزول الآية تذكيراً وموعظة، وذكر من ذلك خواتيم النحل وأول سورة الرُّوم.

وذكر ابن كثير منه آية الرُّوح، وذكر قوم منهم الفاتحة. وذكر بعضهم منه قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟..﴾[1] الآية.

وقال الزركشي في البرهان: قد ينزّل الشيء مرّتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً عند حدوث سببه وخوف نسيانه. ثم ذكر منه آية الرّوح. وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾[2] الآية. قال: فإن سورة الإسراء وهود مكّيّتان، وسبب نزولهما يدلّ على أنهما نزلتا بالمدينة، ولهذا أشكل ذلك على بعضهم، ولا إشكال لأنها نزلت مرّة بعد مرّة، قال: وكذلك ما ورد في سورة الإخلاص من أنها نزلت جواب لأهل الكتاب بالمدينة.

وكذلك قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾[3] الآية، وقال: والحكمة من ذلك كلّه أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية وقد نزل قبل ذلك ما يتضمّنها، فيوحى إلى النبيّ ﷺ تلك الآية بعينها تذكيراً لهم بها وبأنها تتضمّن هذه[*].

(١) سورة التوبة: الآية (١١٣).

(٢) سورة هود: الآية (١١٤).

(٣) سورة التوبة: الآية (١١٣).

(*) نفس المصدر السابق ص ٤٧ وما بعدها.

تنبيهان:

التنبيه الأول: قد يجعل من ذلك الأحرف التي تقرأ على وجهين فأكثر، ويدلّ له ما أخرجه مسلم من حديث أُبيَ: «إنَّ ربّي أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددتُ إليه أن هوّن على أمّتي، فأرسل إليّ أن اقرأ على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمّتي، فأرسل إليّ اقرأه على سبعة أحرف» فهذا الحديث يدلّ على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة بل مرّة بعد أخرى.

وفي جمال القراء للإمام السخاوي بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرّتين: فإن قيل: ما فائدة نزولها مرّة ثانية؟ قلت: يجوز أن تكون نزلت أول مرّة على حرف واحد، ونزلت الثانية ببقية وجوهها نحو ملك ومالك، والسراط والصراط، ونحو ذلك، ا.هـ(*).

التنبيه الثاني: أنكر بعضهم كون شيء من القرآن تكرّر نزوله، كذا رأيته في كتاب الكفيل بمعاني التنزيل. وعلّله بأن تحصيل ما هو حاصل لا فائدة فيه، وهو مردود بما تقدم من فوائده وبأنه يلزم منه أن يكون كلّ ما نزل بمكة نزل بالمدينة مرة أخرى، فإن جبريل كان يعارضه القرآن كلّ سنة. ورُدَّ بمنع الملازمة بأنه لا معنى للإنزال إلاّ أن جبريل كان ينزل على رسول الله ﷺ بقرآن لم يكن نزل به من قبل فيقرئه إيّاه. ورُدَّ بمنع اشتراط قوله لم يكن نزل به من قبل، ثم قال: ولعلّهم يعنون بنزولها مرّتَين أن جبريل نزل حين حُوِّلت القبلة، فأخبر الرسول ﷺ أن الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكّة، فظن ذلك نزولاً لها مرّة أخرى، أو أقرأه فيها قراءة أخرى لم يقرئها له بمكّة فظنّ ذلك إنزالاً، ا.هـ(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

الفصل السابع

١ ـ نزول القرآن على سبعة أحرف.

٢ ـ على كم معنى تشتمل هذه الأحرف السبعة؟.

٣ ـ هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟.

٤ ـ هل القراءات التي يقرأ بها اليوم في الأمصار جميع الأحرف السبعة أم بعضها؟.



أولاً: نزول القرآن على سبعة أحرف[1]

قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه» متفق عليه، وهذا لفظ البخاري عن عمر. وفي لفظ البخاري أيضاً عن عمر: «سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرئنيها رسول الله ﷺ. . .» الحديث[*].

وفي لفظ مسلم عن أُبيّ أن النبي ﷺ، كان عند أضاة بني غفار فأتاه جبريل فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومعونته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية على حرفين، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة بثلاثة فقال مثل ذلك، ثم أتاه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا» ورواه أبو داود والترمذي وأحمد وهذا لفظه مختصراً.

وفي لفظ للترمذي أيضاً عن أُبيّ قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المرا قال: «فقال رسول الله ﷺ لجبريل: إني بعثت إلى أمّة أميين فيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام قال: فمرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف». قال الترمذي: حسن صحيح، وفي لفظ: «فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ».

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر للحافظ ابن الجزري جـ ١ ص ١٩ وما بعدها.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

وفي لفظ حذيفة: «فقلت: يا جبريل إني أرسلت إلى أمّة أمية الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف».

وفي لفظ لأبي هريرة: «أنزل القرآن على سبعة أحرف عليماً حكيماً غفوراً رحيماً». وفي رواية لأُبيّ: «دخلت المسجد أصلي فدخل رجل فافتتح النحل فقرأ فخالفني في القراءة فلما انتفل قلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله ﷺ.

ثم جاء رجل فقام يصلي فقرأ وافتتح النحل فخالفني وخالف صاحبي فلما انتفل قلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله ﷺ. قال: فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشدَّ مما كان في الجاهلية فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما إلى النبي ﷺ فقلت: استقرىء هذين فاستقرأ أحدهما، قال: أحسنت، فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشدَّ مما كان في الجاهلية فضرب رسول الله ﷺ صدري بيده فقال: أعيذك بالله يا أُبيّ من الشك، ثم قال: إن جبريل عليه السلام أتاني فقال إن ربك عزّ وجلّ يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفٍ واحد فقلت: اللهم خفف عن أمتي ثم عاد فقال: إن ربك عزَّ وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت: اللهم خفف عن أمتي ثم عاد فقال: إن ربك عزّ وجلّ يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف وأعطاك بكل ردة مسألة» الحديث، رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بهذا اللفظ، وفي لفظ لابن مسعود: «فمن قرأ على حرف منها فلا يتحوّل إلى غيره رغبة منه».

وفي لفظ لأبي بكرة: «كل شافٍ كافٍ ما لم تختم آية عذاب برحمة، وآية رحمة بعذاب»، وهو كقولك: هلم وتعال وأقبل وأسرع واذهب واعجل(*).

وفي لفظ لعمرو بن العاص: «فأي ذلك قرأتم فقد أصبتم ولا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر». (وقد نص) الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام

(*) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٢١ وما بعدها.

رحمه الله على أن هذا الحديث تواتر عن النبي ﷺ (قلت): وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك فرويناه من حديث عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم بن حزام، وعبد الرحمن بن عوف، وأُبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وأبي بكرة، وعمرو بن العاص، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وسمرة بن جندب، وعمر بن أبي سلمة، وأبي جهيم، وأبي طلحة الأنصاري، وأم أيوب الأنصاري رضي الله عنهم.

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوماً وهو على المنبر: أذكّر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ كلها شافٍ كافٍ» لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرفٍ كلها شافٍ كافٍ»، فقال عثمان رضي الله عنه: أنا أشهد معهم، وقد تكلم الناس على هذا الحديث بأنواع الكلام.

وصنف الإمام الحافظ أبو شامة رحمه الله فيه كتاباً حافلاً وتكلم بعده قوم وجنح آخرون إلى شيء آخر والذي ظهر لي أن الكلام عليه ينحصر في عشرة أوجه:

الأول: في سبب وروده.

الثاني: في معنى الأحرف.

الثالث: في المقصود بها هنا.

الرابع: ما وجه كونها سبعة.

الخامس: على أي شيء يتوجه اختلاف هذه السبعة.

السادس: على كم معنى تشتمل هذه السبعة.

السابع: هل هذه السبعة متفرّقة في القرآن.

الثامن: هل المصاحف العثمانية مشتملة عليها.

التاسع: هل القراءات التي بين أيدي الناس اليوم هي السبعة أم بعضها.

العاشر: ما حقيقة هذا الاختلاف وفائدته(*).

فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها شرفاً لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق حيث أتاه جبريل فقال له: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومعونته إن أمتي لا تطيق ذلك» ولم يزل يردِّد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف.

وفي الصحيح أيضاً: «إن ربي أرسل إليَّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوِّن على أمتي ولم يزل يردِّد حتى بلغ سبعة أحرف».

وكما ثبت صحيحاً: «إن القرإن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج ولا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه ﷺ، فلو كُلِّفُوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع وما عسى أن يتكلَّف المتكلِّف وتأبى الطباع..

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة في كتاب المشكل: فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يقرىء كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم فالهذلي يقرأ: (عتى حين) يريد (حتى) هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ: (يِعلمون وتِعلم، ويِسود وجوه وألم إعهد إليكم)، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ: (قيل لهم، وغيض الماء) بإشمام

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

الضم مع الكسر و (بضاعتنا ردّت) بإشمام الكسر مع الضم، و (مالك لا تأمنا) بإشمام الضم مع الإدغام. (قلت): وهذا يقرأ: (عليهم وفيهم) بالضم والآخر يقرأ: (عليهمو ومنهمو) بالصلة، وهذا يقرأ: (قد أفلح. وقل أوحي، وخلوا إلى) بالنقل، والآخر يقرأ: (موسى، وعيسى، ودنيا) بالإمالة، وغيره يلطف وهذا يقرأ: (خبيراً بصيراً) بالترقيق، والآخر يقرأ: (الصلاة، والطلاق) بالتفخيم إلى غير ذلك(*).

قال ابن قتيبة: ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً، وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلاً بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل لِلّسان وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات كتيسيره عليهم في الدين.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٢٣ وما بعدها.

ثانياً: على كم معنى تشتمل هذه الأحرف السبعة؟

(وأما) معنى الأحرف فقال أهل اللغة: حرف كل شيء طرفه ووجهه وحافته وحدُّه وناحيته والقطعة من الحروف أيضاً واحد حروف التهجي كأنه قطعة من الكلمة.

(قال) الحافظ أبو عمرو الداني: معنى الأحرف التي أشار إليها النبي ﷺ ها هنا يتوجه إلى وجهين: **أحدهما**: أن يعنى أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات لأن الأحرف جمع حرف في القليل كفلس وأفلس، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ .﴾[1] الآية. فالمراد بالحرف هنا الوجه أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله وإذا تغيَّرت عليه وامتحنه بالشدة والضُّر ترك العبادة وكفر فهذا عَبَدَ الله على وجه واحد فلهذا سمى النبي ﷺ هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً على معنى أن كل شيء منها وجه[*].

(قال): **والوجه الثاني** من معناها أن يكون سمى القراءات أحرفاً على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره وكان كسب منه وتعلق به ضرباً من التعلق كتسميتهم الجملة باسم البعض منها فلذلك سمى النبي ﷺ القراءة حرفاً وإن كان كلاماً كثيراً من أجل أن منها حرفاً قد غير نظمه أو كسر أو قلب إلى غيره أو أميل أو زيد

---

(١) سورة الحج: الآية (١١).

(*) نفس المصدر السابق ص ٢٣ وما بعدها.

أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القراءة فسمي القراءة إذا كان ذلك الحرف فيها حرفاً على عادة العرب في ذلك واعتماداً على استعمالها.

(وقلت): وكلا الوجهين محتمل، إلاَّ أن الأول محتمل احتمالاً قويّاً في قوله ﷺ: «سبعة أحرف» أي سبعة أوجه وأنحاء والثاني محتمل احتمالاً قوياً في قول عمر رضي الله عنه في الحديث: سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ أي على قراءات كثيرة وكذا قوله في الرواية الأخرى: سمعته يقرأ فيها أحرفاً لم يكن نبـي الله ﷺ أقرئنيها فالأول غير الثاني كما سيأتي بيانه.

(وأما المقصود) بهذه السبعة فقد اختلف العلماء في ذلك مع إجماعهم على أنه ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة نحو: (أف، وجبريل، وأرجه، وهيهات، وهيت) وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة القرّاء المشهورين وإن كان يظنه بعض العوام، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا، وأول من جمع قراءاتهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة كما سيأتي\وأكثر العلماء على أنها لغات ثم اختلفوا في تعيينها فقال أبو عبيدة: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن(*).

وقال غيره: خمس لغات في أكناف هوازن: سعد وثقيف، وكنانة وهذيل، وقريش، ولغتان على جميع ألسنة العرب. وقال أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد الهروي يعني على سبع لغات من لغات العرب، أي أنها متفرّقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن.

(قلت): وهذه الأقوال مدخولة فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان كما ثبت في الصحيح وكلاهما قرشيّان من لغة واحدة وقبيلة واحدة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(وقال): بعضهم المراد بها معاني الأحكام: كالحلال، والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال، والإنشاء، والإخبار.

(وقيل): الناسخ والمنسوخ، والخاص، والعام، والمجمل والمبيّن، والمفسّر.

(وقيل): الأمر، والنهي، والطلب، والدعاء، والخبر، والاستخبار، والزجر.

(وقيل): الوعد، والوعيد، والمطلق، والمقيد، والتفسير، والإعراب والتأويل(*).

(قلت): وهذه الأقوال غير صحيحة فإن الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبي ﷺ كما ثبت في حديث عمر وهشام وأُبيّ وابن مسعود وعمرو بن العاص وغيرهم لم يختلفوا في تفسيره ولا أحكامه وإنما اختلفوا في قراءة حروفه.

(فإن قيل): فما تقول في الحديث الذي رواه الطبراني من حديث عمر ابن أبي سلمة المخزومي أن النبي ﷺ قال لابن مسعود: «إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد وإن القرآن أنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وضرب أمثال، وآمر وزاجر، فأحل حلاله وحرم حرامه واعمل بمحكمه وقف عند متشابهه واعتبر أمثاله فإن كلا من عند الله وما يذكّر إلا أولوا الألباب».

(فالجواب): عنه من ثلاث أوجه:

أحدها: أن هذه السبعة غير السبعة الأحرف، التي ذكرها النبيّ ﷺ في تلك الأحاديث وذلك من حيث فسرها في هذا الحديث فقال: حلال وحرام إلى أخره، وأمر بإحلال حلاله وتحريم حرامه إلى آخره، ثم أكد ذلك بالأمر بقول: ﴿آمنا به كلٌّ من عند ربنا﴾ فدل على أن هذا غير تلك القراءات.

الثاني: أن السبعة الأحرف في هذا الحديث هي هذه المذكورة في الأحاديث الأخرى التي هي الأوجه والقراءات ويكون قوله حلال وحرام إلى آخره تفسيراً للسبعة الأبواب(*).

(*) نفس المصدر السابق ص ٢٥ وما بعدها.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

الثالث: أن يكون قوله حلال وحرام إلى آخره لا تعلّق له بالسبعة الأحرف ولا بالسبعة الأبواب بل إخبار عن القرآن أي هو كذا وكذا واتفق كونه بصفات سبع كذلك، وأما وجه كونها سبعة أحرف دون أن لا كانت أقل أو أكثر، فقال الأكثرون: إن أصول قبائل العرب تنتهي إلى سبعة، أو أن اللغات الفصحى سبع وكلاهما دعوى، وقيل: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص بل المراد السعة والتيسير وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب من حيث أنّ الله تعالى أذن لهم في ذلك، والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ و: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وقال ﷺ في الحسنة: «إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة» وكذلك حمل بعضهم قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة» وهذا جيِّد لولا أن الحديث يأباه فإنه ثبت في الحديث من غير وجه أنه لما أتاه جبريل بحرفٍ واحدٍ قال له ميكائيل استزده وأنه سأل الله تعالى التهوين على أمته فأتاه على حرفين فأمره ميكائيل بالاستزادة، وسأل الله التخفيف فأتاه بثلاثة ولم يزل كذلك حتى بلغ سبعة أحرف(*).

وفي حديث أبي بكرة: «فنظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أنه قد انتهت العدة» فدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره ولا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله وذلك أني تتبّعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك إما في الحركات بلا تغيّر في المعنى والصورة نحو: (البخل) بأربعة (ويحسب بوجهين) أو بتغيّر في المعنى فقط نحو: (فتلقى آدم من ربه كلمات) حيث قرأ ابن كثير بنصب آدم، ورفع

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

كلمات، على الفاعلية، وقرأ الجمهور برفع آدم ونصب كلمات، على المفعولية.

وادّكر بعد أمة، وأُمَّةٍ وإما في الحروف بتغيّر المعنى لا الصورة نحو: (تبلو، وتتلو. وننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك، وننجيك ببدنك لتكون لمن خَلَفَكَ، لمن خَلْفَكَ) أو عكس ذلك، نحو: (بصطة وبسطة، والصراط والسراط) أو بتغيّرهما نحو: (أشد منكم، ومنهم، ويأتل ويتأل، وفامضوا إلى ذكر الله، وفاسعوا إلى ذكر الله)، وإما في التقديم والتأخير نحو: (فيُقْتلون ويقتلون)[1]، فقد قرىء بتقديم الفعل المبني للمجهول على الفعل المبني للمعلوم وبالعكس: (فَيقْتلون ويُقْتلون)[2] وجاءت سكرة الموت بالحق، وجاءت سكرة الحق بالموت، أو في الزيادة والنقصان نحو: (وأوصى، ووصى، الذكر والأنثى ـ وما خلق الذكر والأنثى ـ) فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها، وأما نحو اختلاف، الإظهار، والإدغام، والروم، والإشمام، والتفخيم، والترقيق، والمد والقصر، والإمالة، والفتح والتحقيق، والتسهيل، والإبدال، والنقل مما يعبّر عنه بالأصول فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوّعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً ولئن فرض فيكون من الأول[*].

وقال الإمام الكبير أبو الفضل الرازي في اللوائح: الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف.

الأول: اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة وغيرها.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه من نحو الماضي والمضارع والأمر والإسناد إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به.

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٢) وهي قراءة الباقين من السبعة.

(*) نفس المصدر السابق ص ٢٧ وما بعدها.

الثالث: وجوه الإعراب.

الرابع: الزيادة والنقصان.

الخامس: التقديم والتأخير.

السادس: القلب والإبدال في كلمة بأخرى وفي حرف بآخر.

السابع: اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل وإدغام وإظهار ونحو ذلك.

وقال ابن قتيبة: وقد تدبرت وجوه الاختلاف في القرآن فوجدتها سبعة:

الأول: في الإعراب بما لا يزيل صورتها في الخط ولا يغيّر معناها نحو: (هؤلاء بناتي ه أطهرُ لكم، وأطهرَ، وهل يجازَى إلاَّ الكفورُ، ونجازِي إلاّ الكفورَ، والبُخْل، والبَخَل، وميسَرة، وميسُرة[1].

الثاني: الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو: (ربَّنا باعِد) و (ربُّنا باعَدَ، إذ تلقّونه، وتلقونه، وبعد أمَة، وبعد أُمَّة)[*].

الثالث: الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها نحو: (وانظر إلى العظام كيف ننشرها، وننشزها)، و (إذا فُزّع عن قلوبهم، وفَزَّعَ).

الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها ومعناها نحو: (طلع نضيد) في موضع (وطلح منضود) في آخر.

الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب ولا يغيّر معناها نحو: (إلاَّ ذقية واحدة، وصيحة واحدة، وكالعهن المنفوش، وكالصوف المنفوش).

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ ص ٦٢ وما بعدها.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو: (وجاءت سكرة الحق بالموت) في (سكرة الموت بالحق).

السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو: (وما عملت أيديهم، وما عملته، وإن الله الغني الحميد[1] وإن وهذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى، ونعجة، بدون لفظ أنثى).

ثم قال ابن قتيبة: وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الرُّوح الأمين على رسول الله ﷺ، ا.هـ.

(قلت): وهو حسن كما قلنا إلاَّ أن تمثيله بـ (طلع نضيد، وطلح منضود) لا تعلق به باختلاف القراءات، ولو مثل عوض ذلك بقوله: (بضنين) بالضاد و (بظنين) بالظاء[2]، (وأشدّ منكم[3]، وأشد منهم) لاستقام، وطلع بدر حسنه في تمام على أنه قد فاته كما فات غيره أكثر أصول القراءات: كالإدغام، والإظهار والإخفاء، والإمالة، والتفخيم، وبين بين أي بين الفتح والإمالة والمد، والقصر، وبعض أحكام الهمز، وكذلك الروم، والإشمام، على اختلاف أنواعه وكل ذلك من اختلاف القراءات وتغاير الألفاظ مما اختلف فيه أئمة القرّاء وقد كانوا يترافعون بدون ذلك إلى النبـي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ويرد بعضهم على بعض كما هو مفصّل في باب الهمزة والنقل والإمالة ولكن يمكن أن يكون هذا من القسم الأول فيشمل الأوجه السبعة على ما قرّر.

على كم معنى تشتمل هذه الأحرف السبعة؟:

وأما على كم معنى تشتمل هذه الأحرف السبعة؟ فإن معانيها من حيث وقوعها وتكرارها شاذّاً وصحيحاً لا تكاد تنضبط من حيث التعداد بل يرجع ذلك كله إلى معنيين:

---

(١) قراءة نافع وابن عامر وهو كذلك في مصاحفهم، والباقون بإثبات لفظ (هو) وهو كذلك في مصاحفهم.

(٢) قراءة يعقوب الحضرمي أحد القراء العشرة، والباقون بالضاد المعجمة.

(٣) قراءة ابن عامر وهو كذلك في مصاحف الشام، والباقون بالهاء وهو كذلك في مصاحفهم.

أحدهما: ما اختلف لفظه واتفق معناه سواء كان الاختلاف اختلاف كلي أو جزئي نحو: (أرشدنا واهدنا، والعهن والصوف، وذقية، وصيحة، وخُطُوات، وخُطْوات، بالضم والإسكان، وهزواً، وهُزاً، وهُزُؤ) كما مثل في الحديث: هلم وتعال وأقبل(*).

والثاني: ما اختلف لفظه ومعناه نحو: (قال ربِّ، وقل ربِّ، ولنبوئنهم، ولنثوينهم، وما يخدعون، وما يخادعون، ويكذبون بالتخفيف، ويكذبون بالتشديد، واتخِذوا، واتخَذوا بكسر الخاء وفتحها، وكذِبوا وكذّبُوا بالتخفيف والتشديد، ولِتزولَ ولَتزولُ بكسر اللام ونصب الثانية وهي قراءة الجمهور، وبفتح اللام الأولى ورفع الثانية وهي قراءة علي بن حمزة المشهور بالكسائي)، وبقي ما اتحد لفظه ومعناه مما يتنوّع صفة النطق به كالمدّات وتخفيف الهمزات والإظهار والإدغام، والروم والإشمام وترقيق القراءات وتفخيم اللاّمات ونحو ذلك مما يعبّر عنه القرّاء بالأصول فهذا عندنا ليس من الاختلاف الذي يتنوّع فيه اللفظ أو المعنى لأن هذه الصفات المتنوّعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً وهو الذي أشار إليه أبو عمرو بن الحاجب بقوله: «والسبعة متواترة فيما ليس من قبيل الأداء» كالمدّ والإمالة وتخفيف الهمز ونحوه»، وهو وإن أصاب في تفرقته بين الخلافين في ذلك كما ذكرناه فهو واهم في تفرقته بين الحالتين نقله وقطعه بتواتر الاختلاف اللفظي دون الأدائي بل هما في نقلهما واحد وإذا ثبت تواتر ذلك كان تواتر هذا من باب أولى إذ اللفظ لا يقوم إلاّ به أو لا يصح إلاّ بوجوده وقد نص على تواتر ذلك كله أئمة الأصول كالقاضي أبي بكر بن الطيِّب الباقلاّني في كتابه ـ الانتصار ـ وغيره ولا نعلم أحداً تقدّم ابن الحاجب إلى ذلك(*)، والله أعلى وأعلم.

نعم هذا النوع من الاختلاف هو دخل في الأحرف السبعة لا أنه واحد منها.

(*) انظر النشر في القراءات العشر للحافظ ابن الجزري جـ ١ ص ٢٩، ٣٠، ٣١.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحات.

(وأمّا) هل هذه الأحرف السبعة متفرّقة في القرآن فلا شك عندنا في أنها متفرقة فيه بل وفي كل رواية وقراءة باعتبار ما قرّرناه في وجه كونها سبعة أحرف ولا أنها مختصرة في قراءة ختمة وتلاوة رواية، فمن قرأ ولو بعض القرآن بقراءة معيَّنة اشتملت على الأوجه المذكورة فإنه يكون قد قرأ بالأوجه السبعة التي ذكرناها دون أن يكون قرأ بكل الأحرف السبعة.

(وأمّا) قول أبي عمرو الداني: إن الأحرف السبعة ليست متفرّقة في القرآن كلها ولا موجودة فيه في ختمة واحدة بل بعضها. فإذا قرأ القارىء بقراءة من القراءات أو رواية من الروايات فإنما قرأ ببعضها لا بكلّها فإنه صحيح على ما أصّله من أن الأحرف هي اللغات المختلفات ولا شك أنه من قرأ برواية من الروايات لا يمكنه أن يحرّك الحرف ويسكنه في حالة واحدة أو يرفعه وينصبه، أو يقدّمه ويؤخره فدل على صحة ما قاله(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحات.

وهل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟

أما كون المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة فإن هذه مسألة كبيرة اختلف العلماء فيها، فذهب جماعات من الفقهاء والقرّاء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة وبنوا ذلك على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وعمر وإرسال كل مصحف منها إلى مصر من أمصار المسلمين وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك قال هؤلاء ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة ولا أن يجمعوا على ترك شيء من القرآن وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبيّ على جبريل عليه السلام متضمّنة لها لم تترك حرفاً منها(*).

(قلت): وهذا القول هو الذي يظهر صوابه لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له إلاَّ أن له تتمة لا بد من ذكرها، نذكرها آخر الفصل. (وقد أجيب) عما استشكله أصحاب القول الأول بأجوبة منها ما قاله الإمام المجتهد محمد بن جرير الطبري وغيره وهو أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة وإنما كان

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحات.

ذلك جائزاً لهم ومرخصاً فيه وقد جعل لهم الاختيار في أي حرفٍ قرؤا به كما في الأحاديث الصحيحة قالوا فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرفٍ واحد وقد اجتمعوا على ذلك اجتماعاً سائغاً وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ولم يكن في ذلك ركب لواجب ولا فعل لمحظور، وقال بعضهم: إن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام لِمَا في المحافظة على حرفٍ واحد من المشقة عليهم لما تزللت ألسنتهم بالقراءة وكان اتفاقهم على حرفٍ واحد يسيراً عليهم وهو أوفق لهم أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الأخيرة وبعضهم يقول إنه نسخ ما سوى ذلك ولذلك نص كثير من العلماء على أن الحروف التي وردت عن أُبيّ وابن مسعود وغيرهما مما يخالف هذه المصاحف منسوخة، وأما من يقول: إن بعض الصحابة كابن مسعود كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه وإنما قال: نظرت القراءات فوجدتهم متقاربين فاقرؤا كما علمتم.

نعم كانوا ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لِمَا تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه لكن ابن مسعود رضي الله عنه كان يكره ذلك ويمنع منه فروى مسروق عنه أنه كان يكره التفسير في القرآن وروى غيره عنه: «جرِّدُوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه».

(قلت): ولا شك أن القرآن نسخ منه وغُيِّر فيه في العرضة الأخيرة فقد صح النص بذلك عن غير واحد من الصحابة وروينا بإسناد صحيح عن زر بن حبيش قال: قال لي ابن عباس: أيُّ القراءتين تقرأ؟ قلت: الأخيرة، قال: فإن النبيّ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرّة، قال: فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه النبيّ مرّتين فشهد عبد الله، يعني ابن مسعود، ما نسخ منه وما بدِّل».

فقراءة عبد الله الأخيرة، وإذ قد ثبت ذلك فلا إشكال أن الصحابة كتبوا في هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن وما علموه استقرَّ في العرضة

الأخيرة وما تحققوا صحته عن النبي ﷺ ما لم ينسخ، وإن لم تكن داخلة في العرضة الأخيرة، ولذلك اختلفت المصاحف بعض اختلاف إذ لو كانت العرضة الأخيرة فقط لم تختلف المصاحف بزيادة ونقص وغير ذلك وتركوا ما سوى ذلك ولذلك لم يختلف عليهم اثنان حتى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وُلّيَ الخلافة بعد ذلك لم ينكر حرفاً ولا غيره مع أنه هو الراوي أن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتم، وهو القائل: لو وُلِّيت من المصاحف ما وُلِّيَ عثمان لفعلت كما فعل(*).

والقراءات التي تواترت عندنا عن عثمان وعن ابن مسعود وأُبيّ وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم لم يكن بينهم فيها إلاّ الخلاف اليسير المحفوظ بين القرّاء، ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جرّدوها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبيّ ﷺ وإنما أخلُوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين والمسموعين المتلوّين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين فإن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا عن رسول الله ﷺ ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن ولفظه ومعناه جميعاً ولم يكونوا ليسقطوا شيئاً من القرآن الثابت عنه ﷺ ولا ليمنعوا من القراءة به(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

هل القراءات التي يقرأ بها اليوم في الأمصار جميع الأحرف السبعة أم بعضها؟

(وأما) هل القراءات التي يقرأ بها اليوم في الأمصار جميع الأحرف السبعة أم بعضها؟.

فإن هذه المسألة تبتنى على الفصل المتقدِّم فإن مَنْ عنده أنه لا يجوز للأمة ترك شيء من الأحرف السبعة يدَّعي أنها مستمرّة النقل بالتواتر إلى اليوم وإلاَّ تكون الأمة جميعها عصاة مخطئين في ترك ما تركوا منه، كيف وهم معصومون من ذلك؟.

وأنت ترى ما في هذا القول فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول قِل من كثر ونزر من بحر فإن مَنْ له أدنى اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين وذلك أن القرَّاء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم كانوا أمماً لا تحصى، وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضاً أكثر وهلم جراً(*).

فلما كانت المائة الثالثة واتسع الخرق وقلَّ الضبط وكان علم الكتاب والسُّنَّة أوفر ما كان في ذلك العصر تصدَّى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات فكان أول إمام معتبر جميع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفي سنة (٢٢٤) أربعة وعشرين ومائتين.

(*) نفس المصدر السابق ص ٣٤ وما بعدها.

وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية جمع كتاباً في قراءات الخمسة من كل مصر وأحد وتوفى سنة (٢٥٨) ثمانية وخمسين ومائتين.

وكان بعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب (قالون) ألّف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماماً منهم هؤلاء السبعة. توفي سنة (٢٨٢) اثنين وثمانين ومائتين.

وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري جمع كتاباً حافلاً سماه الجامع فيه نيف وعشرون قراءة توفي سنة (٣١٠) عشر وثلاثمائة.

وكان بعيده أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني جمع كتاباً في القراءات وأدخل معهم أبا جعفر أحد القرّاء العشرة وتوفي سنة (٣٢٤) أربع وعشرين وثلاثمائة.

وكان في إثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أول من اقتصر على قراءات هؤلاء الأئمة السبعة فقط، وروى فيه عن هذا الدّاجوني وعن ابن جرير أيضاً وتوفي سنة (٣٢٤) أربع وعشرين وثلاثمائة، وقام الناس في زمانه وبعده فألَّفُوا في القراءات أنواع التأليف كأبي بكر أحمد بن نصر الشذائي توفي سنة (٣٧٠) سبعين وثلاثمائة، وأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران مؤلف كتاب الشامل والغاية وغير ذلك في قراءات العشرة وتوفي سنة (٣٨١) إحدى وثمانين وثلاثمائة، والإمام أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي مؤلف المنتهى جمع فيه ما لم يجمعه مَنْ قبله وتوفي سنة (٤٠٨) ثمان وأربعمائة.

وانتدب الناس لتأليف الكتب في القراءات بحسب ما وصل إليهم وصح لديهم، وكل ذلك ولم يكن بالأندلس ولا ببلاد المغرب شيء من هذه القراءات إلى أواخر المائة الرابعة فرحل منهم مَنْ روى القراءات بمصر ودخل بها وكان أبو عمر أحمد بن حمد بن عبد الله الطلمنكي مؤلف الروضة أول مَنْ أدخل القراءات إلى الأندلس وتوفي سنة (٤٢٩) تسع وعشرين وأربعمائة.

ثم تبعه أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي مؤلف التبصرة والكشف وغير ذلك وتوفي سنة (٤٣٧) سبع وثلاثين وأربعمائة.

ثم الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني مؤلف التيسير وجامع البيان وغير ذلك، توفي سنة (٤٤٤) أربع وأربعين وأربعمائة، وهذا كتاب جامع البيان له في قراءات السبعة فيه عنهم أكثر من خمسمائة رواية وطريق(*).

وكان بدمشق الأستاذ أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي مؤلف الوجيز والإيجاز والإيضاح والاتضاح، وجامع المشهور والشاذ وممن لم يلحقه أحد في هذا الشأن وتوفي سنة (٤٤٦) ست وأربعين وأربعمائة وفي هذه الحدود رحل من المغرب أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي إلى المشرق وطاف البلاد وروى عن أئمة القراءة حتى انتهى إلى ما وراء النهر وقرأ بغزنة وغيرها وألَّف كتابه الكامل جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة وألفاً وأربعمائة وتسعة وخمسين رواية وطريقاً قال فيه: فجملة مَنْ لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً وتوفي سنة (٤٦٥) خمس وستين وأربعمائة.

وفي هذا العصر كان أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري بمكة مؤلف كتاب التلخيص في القراءات الثمان وسوق العروس فيه ألف وخمسمائة وخمسون رواية وطريقاً توفي سنة (٤٧٨) ثمان وسبعين وأربعمائة وهذان الرجلان أكثر مَنْ عَلِمْنَا جمعاً في القراءات لا نعلم أحداً بعدهما جمع أكثر منهما إلا أبا القاسم عيسى بن عبد العزيز الإسكندري فإنه ألَّف كتاباً سماه الجامع الأكبر والبحر الأزخر يحتوي على سبعة آلاف رواية وطريق وتوفي سنة (٦٢٩) تسع وعشرين وستمائة(*).

ولا زال الناس يؤلّفون في كثير القراءات وقليلها ويروُون شاذها

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

وصحيحها بحسب ما وصل إليهم أو صح لديهم ولا ينكر أحد عليهم بل هم في ذلك متبعون سبيل السلف حيث قالوا القراءة سُنَّة متبعة يأخذها الآخر عن الأول وما عَلِمْنَا أحداً أنكر شيئاً قرأ به الآخر إلاّ ما قدمنا عن ابن شنبوذ لكونه خرج عن المصحف العثماني.

وللناس في ذلك خلاف كما قدّمناه وذلك ما أنكر على ابن مقسم من كونه أجاز القراءة بما وافق المصحف من غير أثر كما قدمنا، أما من قرأ بالكامل للهذلي أو سوق العروس للطبري أو إقناع الأهوازي أو كفاية أبي العز أو مبهج سبط الخياط، أو روضة المالكي ونحو ذلك على ما فيه من ضعيف وشاذ عن السبعة والعشرة وغيرهم فلا نعلم أحداً أنكر ذلك ولا زعم أنه مخالف لشيء من الأحرف السبعة بل ما زالت علماء الأمة وقضاة المسلمين يكتبون خطوطهم ويثبتون شهاداتهم في إجازاتنا بمثل هذه الكتب والقراءات[*].

وإنما أطلنا هذا الفصل لِمَا بلغنا عن بعض مَنْ لا عِلْمَ له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة أو أن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبيّ ﷺ هي قراءة هؤلاء السبعة بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي في الشاطبية والتيسير وأنها هي المشار إليها بقوله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» حتى أن بعضهم يطلق على ما لم يكن في هذين الكتابين أنه شاذ وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذاً وربما كان كثير مما لم يكن في الشاطبية والتيسير وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيها وإنما أوقع هؤلاء في الشبه كونهم سمعوا «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وسمعوا قراءات السبعة فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار إليها ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القرّاء وخطّأوه في ذلك وقالوا إلاّ اقتصر على دون هذا العدد أو زاده أو بين مراده ليخلص مَنْ لا يعلم من هذه الشبهة قال الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي: فأما اقتصار أهل

(*) نفس المصدر السابق ص ٣٦ وما بعدها.

الأمصار في الأغلب على نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، فذهب إليه بعض المتأخرين اختصاراً واختياراً فجعله عامة الناس كالفرض المحتوم حتى إذا سمع ما يخالفها خطأً أو كفّر وربما كانت أظهر وأشهر ثم اقتصر من قلّت عنايته على راويين لكل إمام منهم فصار إذا سمع قراءة راوٍ عنه غيرهما أبطلها وربما كانت أشهر ولقد فعل مسبّع هؤلاء السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله وأشكل على العامة حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله وأوهم كل مَنْ قلَّ نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي لا غير وأكّد وهم اللاحق والسابق وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة(*).

(قال أيضاً): القراءة المستعملة التي لا يجوز رَدُّها ما اجتمع فيها الثلاثة شروط فما جمع ذلك وجب قبوله ولم يسع أحداً من المسلمين ردُّه سواء كانت عن أحد من الأئمة السبعة المقتصر عليهم في الأغلب أو غيرهم.

وقال الإمام أبو محمد مكي: وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجلّ قدراً من هؤلاء السبعة، على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة واطّرحهم، وقد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة.

وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلاً وكذلك فعل أبو عبيد وإسماعيل القاضي. فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة المنصوص عليها؟ هذا تخلُّف عظيم، أكان ذلك بنص من النبي ﷺ أم كيف ذلك؟ وكيف يكون ذلك والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره وكان السابع يعقوب الحضرمي فأثبت ابن مجاهد في سنة (٣٠٠) ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في موضع يعقوب ثم أطال الكلام في تقرير ذلك(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

وقال الإمام الحافظ أبو عمرو الداني بعد أن ساق اعتقاده في الأحرف السبعة ووجوه اختلافها: وإن القراء السبعة ونظائرهم من الأئمة متبعون في جميع قراءاتهم الثابتة عنهم التي لا شذوذ فيها.

وقال أبو القاسم الهذلي في كامله: وليس لأحد أن يقول لا تكثروا من الروايات ويُسمِّي ما لم يصل إليه من القراءات شاذاً لأن ما من قراءة قرئت ولا رواية رُوِيت إلا وهي صحيحة إذا وافقت رسم الإمام ولم تخالف الإجماع.

(قلت): وقد وقفت على نص الإمام أبي بكر العربي في كتابه القبس على جواز القراءة والإقراء بقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش وغيرهم وأنها ليست من الشاذة ولفظه: وليست هذه الروايات بأصل للتعيين بل ربما خرج عنها ما هو مثلها أو فوقها كحروف أبي جعفر المدني وغيره.

وكذلك رأيت نص الإمام أبي محمد بن حزم في آخر كتاب السيرة وقال الإمام محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في أول تفسيره: ثم إن الناس كما إنهم متعبّدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده: فهم متعبّدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الإمام الذي اتفقت الصحابة عليه وأن لا يجاوزوا فيما يوافق الخط عما قرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين واتفقت الأمة على اختيارهم قال: وقد ذكرت في هذا الكتاب قراءات من اشتهر منهم بالقراءة واختيارهم على ما قرأته وذكر إسناده إلى ابن مهران ثم سماهم فقال: وَهُم أبو جعفر ونافع المدنيان، وابن كثير المكي، وابن عامر الشامي، وأبو عمر بن العلاء، ويعقوب الحضرمي البصريان، وعاصم، وحمزة والكسائي، الكوفيون ثم قال: فذكرت قراءة هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها(*).

وقال الإمام الكبير الحافظ المجمع على قوله في الكتاب والسنة أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمذاني في أول غايته: أما بعد فإن

(*) نفس المصدر السابق ص ٣٨ وما بعدها.

هذه تذكرة في اختلاف القرّاء العشر الذين اقتدى الناس بقراءتهم وتمسكوا فيها بمذاهبهم من أهل الحجاز والشام والعراق، ثم ذكر القَرَّاء العشر المعروفين.

وقال شيخ الإسلام ومفتي الأنام العلامة أبو عمرو عثمان بن الصلاح رحمه الله من جملة جواب فتوى وردت عليه من بلاد العجم ذكرها العلامة أبو شامة في كتابه المرشد الوجيز أشرنا إليها في كتابنا المنجد يشترط أن يكون المقروء به قد تواتر نقله عن رسول الله ﷺ قرآناً واستفاض نقله كذلك وتلقته الأمة بالقبول كهذه القراءات السبع لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع على ما تقرّر وتمهَّد في الأصول فما لم يوجد فيه ذلك كما عدا السبع أو كما عدا العشر فممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة ا. هـ(*).

ولمّا قدِمَ الشيخ أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي دمشق في حدود سنة (٧٣٠) ثلاثين وسبعمائة وأقرأ بها العشرة بمضمن كتابيه الكنز والكفاية وغير ذلك بلغنا أن بعض مقرئي دمشق ممن كان لا يعرف سوى الشاطبية والتيسير حسده وقصد منعه من بعض القضاة فكتب علماء ذلك العصر وأئمته في ذلك ولم يختلفوا في جواز ذلك واتفقوا على أن قراءات هؤلاء العشرة واحدة وإنما اختلفوا في إطلاق الشاذ على ما عدا هؤلاء العشرة وتوقف بعضهم والصواب أن ما دخل في تلك الأركان الثلاثة فهو صحيح وما لا فعلى ما تقدم.

وكان من جواب الشيخ الإمام مجتهد ذلك العصر أبي العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله: لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبيّ ﷺ أن القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

واعتقاد غيره من العلماء أن القرّاءات السبع هي الحروف السبعة أو أن هؤلاء السبعة المعيَّنين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم، ولهذا قال بعض من قال من أئمة القرّاء لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة، وإمام قرّاء البصرة في زمانه على رأس المائتين، ثم قال ـ أعني ابن تيمية ـ: ولذلك لم يتنازل علماء الإسلام المتبعون من السلف والأئمة في أنه لا يتعيّن أن يقرأ بهذه القراءات المعيّنة في جميع أمصار المسلمين بل من ثبتت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة، أو قراءة يعقوب الحضرمي ونحوهما كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف، بل أكثر العلماء الأئمة الذين أدركوا قراءة حمزة كسفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، وبشر بن الحارث، وغيرهم يختارون قراءة أبي جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح المدنيين، وقراءة البصريين كشيوخ يعقوب وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي، وللعلماء الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف عند العلماء(*).

ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشرة والأحد عشر كثبوت هذه السبعة يجمعون في ذلك الكتب ويقرءونه في الصلاة وخارج الصلاة وذلك متفق عليه بين العلماء لم ينكره أحد منهم.

وأما الذي ذكره القاضي عياض ومن نقل كلامه من الإنكار على ابن شنبوذ الذي كان يقرأ بالشواذ في الصلاة وفي أثناء المائة الرابعة وجرت له قصة مشهورة فإنما كان ذلك في القراءات الشاذة الخارجة عن المصحف ولم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة ولكن مَنْ لم يكن عالِماً بها، أو لم تثبت عنده كمن يكون في بلد من بلاد الإسلام بالمغرب أو غيره لم يتصل به بعض هذه القراءات فليس له أن يقرأ بما لا يعلمه فإن القراءة كما قال زيد بن ثابت سنة يأخذها الآخر عن الأول كما أن ما ثبت عن النبي ﷺ من أنواع الاستفتاحات في الصلاة ومن أنواع صفة الأذان والإقامة وصفة

(*) نفس المصدر السابق ص ٤٠ وما بعدها.

صلاة الخوف وغير ذلك كله حسن يشرع العمل به لمن علمه، وأما من علم نوعاً ولم يعلم غيره فليس له أن يعدل عما علمه إلى ما لم يعلم، وليس له أن ينكر على مَنْ علم ما لم يعلمه من ذلك ولا أن يخالفه كما قال النبي ﷺ: «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا» ثم بسط القول في ذلك، ثم قال: فتبيّن بما ذكرناه أن القراءات المنسوبة إلى نافع وعاصم ليست هي الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها، وذلك باتفاق علماء السلف والخلف، وكذلك ليست هذه القراءات السبع هي مجموع حرف واحد من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها باتفاق العلماء المعتبرين، بل القراءات الثابتة عن الأئمة القرّاء كالأعمش ويعقوب وخلف وأبي جعفر وشيبة ونحوهم بمنزلة القراءات الثابتة عن هؤلاء السبعة عند من يثبت ذلك عنده وهذا أيضاً مما لم يتنازع فيه الأئمة المتبعون من أئمة الفقهاء والقرّاء وغيرهم وإنما تنازع الناس من الخلف في المصحف العثماني الإمام الذي أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان والأمة بعدهم هل هو بما فيه من قراءة السبعة وتمام العشرة وغير ذلك حرف من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها، أو هو مجموع الأحرف السبعة. على قولين مشهورين(*). والأول قول أئمة السلف والعلماء، والثاني قول طوائف من أهل الكلام والقراء وغيرهم، ثم قال في آخر جوابه:

وتجوز القراءة في الصلاة وخارجها بالقراءات الثابتة الموافقة لرسم المصحف كما ثبتت هذه القراءات وليست شاذة حينئذ، والله أعلى وأعلم.

وكان من جواب الإمام الحافظ أستاذ المفسرين أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الجبائي الأندلسي رحمه الله، ومن خطه نقلت: قد ثبت لنا بالنقل الصحيح أن أبا جعفر شيخ نافع وأن نافعاً قرأ عليه، وكان أبو جعفر من سادات التابعين وهما بمدينة الرسول ﷺ حيث كان العلماء متوافرين وأخذ قراءته عن الصحابة عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وغيره ولم يكن مَنْ هو بهذه المثابة ليقرأ كتاب الله بشيء محرم عليه، وكيف وقد تلقف

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

ذلك في مدينة رسول الله ﷺ عن صحابته غضاً رطباً قبل أن تطول الأسانيد وتدخل فيها النقلة غير الضابطين وهذا وهُم عرب آمنون من اللحن، وأن يعقوب كان إمام الجامع بالبصرة يؤم بالناس والبصرة إذ ذاك ملأى من أهل العلم ولم ينكر أحد عليه شيئاً من قراءته، ويعقوب تلميذ سلام الطويل وسلام تلميذ أبي عمرو وعاصم. فهو من جهة أبي عمرو كأنه مثل الدوري الذي روى عن اليزيدي عن أبي عمرو، ومن جهة عاصم كأنه مثل العليمي أو يحيـى اللذين رويا عن أبي بكر عن عاصم، وقرأ يعقوب أيضاً على غير سلام ثم قال: وهذه هذه المختصرات التي بأيدي الناس اليوم كالتيسير والتبصرة والعنوان والشاطبية بالنسبة لِمَا اشتهر من قراءات الأئمة السبعة إلا نزر من كثر، وقطرة من قطر، وينشأ الفقيه الفروعي فلا يرى إلا مثل الشاطبية والعنوان فيعتقد أن السبعة محصورة في هذا فقط، ومن كان له اطلاع على هذا الفن رأى أن هذين الكتابين ونحوهما من السبعة (كثغبة من دأماء وتربة في بهماء) هذا أبو عمرو بن العلاء الإمام الذي يقرأ أهل الشام ومصر بقراءته اشتهر عنه في هذه الكتب المختصرة اليزيدي وعنه رجلان الدوري والسوسي وعند أهل النقل اشتهر عنه سبعة عشر راوياً: اليزيدي، وشجاع، وعبد الوارث، والعباس بن الفضل، وسعيد بن أوس، وهارون الأعور، والخفاف، وعبيد بن عقيل، وحسين الجعفي، ويونس بن حبيب، واللؤلؤي، ومحبوب، وخارجة، والجهضمي، وعصمة، والأصمعي، وأبو جعفر الرؤاسي، فكيف تقصر قراءة أبي عمرو على اليزيدي ويلغى مَنْ سواه من الرواة على كثرهم وضبطهم ودرايتهم وثقتهم وربما يكون فيهم من هو أوثق وأعلم من اليزيدي؟[*].

ونتنقل إلى اليزيدي فنقول: اشتهر مِمَّنْ روى عن اليزيدي الدوري، والسُّوسي، وأبو حمدان، ومحمد بن أحمد بن جبير، وأوقية أبو الفتح، وأبو خلاد، وجعفر بن حمدان سجادة، وابن سعدان، وأحمد بن محمد بن اليزيدي، وأبو الحارث الليث بن خالد، فهؤلاء عشرة فكيف يقتصر على

(*) نفس المصدر السابق ص ٤٢ وما بعدها.

أبي شعيب والدوري ويلغى بقية هؤلاء الرواة الذين شاركوهما في الأخذ عن اليزيدي وربما كان فيهم من هو أضبط منهما وأوثق وننتقل إلى الدوري فنقول: اشتهر مِمَّنْ روى عنه ابن فرج وابن بشار وأبو الزعراء وابن مسعود السراج، والكاغدي وابن برزة وأحمد بن حرب المعدّل.

وننتقل إلى ابن فرح فنقول: روى عنه ممن اشتهر: زيد بن أبي بلال، وعمر بن عبد الصمد، وأبو العباس بن محيريز، وأبو محمد القطان، والمطوعي، وهكذا ننزل هؤلاء القراء طبقة طبقة إلى زماننا هذا فكيف وهذا نافع الإمام الذي يقرأ أهل المغرب بقراءته واشتهر عنه في هذه الكتب المختصرة ورش وقالون وعند أهل النقل اشتهر عنه تسعة رجال: ورش، وقالون، وإسماعيل بن جعفر، وأبو خليد، وابن جماز، وخارجة، والأصمعي، وكردم، والمسيبي؟.

وهكذا كل إمام من باقي السبعة قد اشتهر عنه رواة غير ما في هذه المختصرات فكيف يلغى نقلهم ويقتصر على اثنين؟ وأي مزيّة وشرف لذينك الاثنين على رفقائهما وكلهم أخذوا عن شيخ واحد وكلهم ضابطون ثقات؟ وأيضاً فقد كان في زمان هؤلاء السبعة من أئمة الإسلام الناقلين القراءات عَالَمٌ لا يحصون وإنما جاء مقرىء اختارهؤلاء وسماهم ولكسل بعض الناس وقصر الهمم وإرادة الله أن ينقص العلم اقتصروا على السبعة ثم اقتصروا من السبعة على نذر يسير منها(*). ا.هـ.

وقال الإمام مؤرخ الإسلام وحافظ الشام وشيخ المحدثين والقراء أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي في ترجمة ابن شنبوذ من طبقات القراء له: إنه كان يرى جواز القراءة بالشاذ وهو ما خالف رسم المصحف الإمام مع أن الخلاف في جواز ذلك معروف بين العلماء قديماً وحديثاً وما رأينا أحداً أنكر الإقراء بمثل قراءة يعقوب وأبي جعفر وإنما أنكر من أنكر القراءة بما ليس بين الدفتين.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

وقال الحافظ أبو عمرو الداني صاحب التيسير في طبقاته: وائتم بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو فهم أو أكثرهم على مذهبه قال: وقد سمعت طاهر بن غلبون يقول إمام الجامع بالبصرة لا يقرأ إلاَّ بقراءة يعقوب(*).

وقال الإمام أبو بكر بن أشتة الأصبهاني وعلى قراءة يعقوب إلى هذا الوقت أئمة المسجد الجامع بالبصرة وكذلك أدركناهم.

وقال الإمام شيخ الإسلام أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي بعد أن ذكر الشبهة التي من أجلها وقع بعض العوام في أن أحرف هؤلاء الأئمة السبعة هي المشار إليها بقوله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وأن الناس إنما ثمنوا القراءات وعشَّرُوها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة ثم قال: وإني لم أقتف أثرهم تثميناً في التصنيف أو تعشيراً أو تفريداً إلاَّ لإزالة ما ذكرته من الشبهة وليعلم أن ليس المراعى في الأحرف السبعة المنزلة عدداً من الرجال دون آخرين ولا الأزمنة ولا الأمكنة وأنه لو اجتمع عدد لا يحصى من الأمة فاختار كل واحد منهم حروفاً بخلاف صاحبه وجرد طريقاً في القراءة على حدة في أي مكان كان وفي أيِّ أوانٍ أراد بعد الأئمة الماضين في ذلك بعد أن كان ذلك المختار بما اختاره من الحروف بشرط الاختيار لما كان بذلك خارجاً عن الأحرف السبعة المنزلة بل فيها متسع إلى يوم القيامة(*).

وقال الشيخ الإمام العالم موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الكواشي الموصلي في أول تفسيره التبصرة: «وكل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوص عليها ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو متفرقين فعلى هذا الأصل بني قبول القرآن عن سبعة كانوا أو عن سبعة آلاف ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم عليها بالشذوذ» ا.هـ.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

وقال الإمام العلاَّمة شيخ الشافعية والمحقق للعلوم الشرعية أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي في شرح المنهاج في صفة الصلاة (فرع) قالوا يعني أصحابنا الفقهاء: تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ولا تجوز بالشاذة، وظاهر هذا الكلام يُوهم أن غير السبعة المشهورة من الشواذ.

وقد نقل البغوي في أول تفسيره الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبي جعفر مع السبع المشهورة قال: وهذا القول هو الصواب.

واعلم أن الخارج عن السبع المشهورة على ثلاثة أقسام: منه ما يخالف رسم المصحف فهذا لا شك في أنه لا يجوز قراءته لا في الصلاة ولا في غيرها، ومنه ما لا يخالف رسم المصحف، ولم تشتهر القراءة به، وإنما ورد من طريق غريبة لا يُعَوَّل عليها وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضاً، ومنه ما اشتهر عند أئمة هذا الشأن القراءة به قديماً وحديثاً فهذا لا وجه للمنع منه ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره.

قال: والبغوي أولى من يعتمد عليه في ذلك فإنه مقرىء فقيه جامع للعلوم قال: وهذا التفصيل إلى شواذ السبعة فإن عنهم شيئاً كثيراً شاذاً، ا. هـ.

وسئل ولده العلَّامة قاضي القضاة أبو نصر عبد الوهاب رحمه الله عن قوله في كتاب جمع الجوامع في الأصول: «والسبع متواترة مع قوله والصحيح أن ما وراء العشر فهو شاذ: إذا كانت العشر متواترة فلم لم تقولوا والعشر متواترة بل قولكم والسبع؟ فأجاب: أما كوننا لم نذكر العشر بدل السبع مع ادِّعائنا تواترها فلأن السبع لم يختلف في تواترها وقد ذكرنا أولاً موضع الإجماع ثم عطفنا عليه موضع الخلاف: على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السُّقوط ولا يصح القول به عمّن يعتبر قوله في الدين وهي، أعني القراءات الثلاث: قراءة يعقوب، وخلف، وأبي جعفر بن القعقاع، لا تخالف رسم المصحف(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

ثم قال: سمعت الشيخ الإمام، يعني والده المذكور، يُشدِّد النكير على بعض القضاة وقد بلغه عنه أنه منع من القراءة بها واستأذنه بعض أصحابنا مرّة في إقراء السبع فقال: أذنت لك أن تقرىء العشر،ا.هـ.

نقلته من كتابه منع الموانع على سؤالات جمع الجوامع وقد جرى بيني وبينه في ذلك كلام كثير وقلت له: ينبغي أن تقول والعشر متواترة ولا بد، فقال: أردنا التنبيه على الخلاف، فقلت: وأين الخلاف وأين القائل به؟ ومن قال إن قراءة أبي جعفر، ويعقوب، وخلف غير متواترة فقال: يفهم من قول ابن الحاجب والسبع متواترة، فقلت: أيُّ سبع وعلى تقدير أن يكون هؤلاء السبعة مع أن كلام ابن الحاجب لا يدل عليه فقراءة خلف لا تخرج عن قراءة أحد منهم بل ولا عن قراءة الكوفيين في حرف فكيف يقول أحد بعدم تواترها مع ادّعائه تواتر السبع وأيضاً فلو قلنا إنه يعني هؤلاء السبعة فَمِنْ أيِّ رواية ومِنْ أيِّ طريق ومِنْ أيِّ كتاب إذ التخصيص لم يدعه ابن الحاجب ولو ادَّعاه لَمَا سلم له، بقي الإطلاق فيكون كلما جاء عن السبعة فقراءة يعقوب جاءت عن عاصم وأبي عمرو، وأبي جعفر هو شيخ نافع ولا يخرج عن السبعة من طرق أخرى فقال: فمن أجل هذا قلت والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ وما يقابل الصحيح إلا فاسد ثم كتبت له استفتاء في ذلك وصورته: ما تقول السادة العلماء أئمة الدين في القراءات العشر التي يقرأ بها اليوم هل هي متواترة أو غير متواترة وهل كلما انفرد به واحد من العشرة بحرف من الحروف متواتر أم لا؟ وإذا كانت متواترة فما يجب على مَنْ جحدها أو حرفاً منها؟(*).

فأجابني ومن خطه نقلت: الحمد لله، القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي والثلاث التي هي: قراءة أبي جعفر، وقراءة يعقوب، وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة وكلُّ حرفٍ انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله ﷺ لا يكابر في شيء من ذلك إلاَّ جاهل وليس تواتر شيء منها مقصوراً على مَنْ قرأ

(*) نفس المصدر السابق ص ٤٦ وما بعدها.

بالروايات بل هي متواترة عند كل مسلم يقول: أشهد أن لا إلّه إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله ولو كان مع ذلك أُمّياً لا يحفظ من القرآن حرفاً. . وحظ كل مسلم وحقه أن يدين الله تعالى ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين لا يتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه، والله أعلى وأعلم.

وقال الإمام الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم بن محمد القراب في أول كتابه الشافي: ثم التمسك بقراءة سبعة من القرّاء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنَّة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين لم يكن قرأ بأكثر من السبع فصنف كتاباً وسماه السبع فانتشر ذلك في العامة وتوهموا أنه لا تجوز الزيادة على ما ذكر في ذلك الكتاب لاشتهار ذكر مصنفه وقد صنف غيره كتباً في القراءات وبعده وذكر لكل إمام من هؤلاء الأئمة روايات كثيرة وأنواعاً من الاختلاف ولم يقل أحد إنه لا يجوز القراءة بتلك الروايات من أجل أنها غير مذكورة في كتاب ذلك المصنف ولو كانت القراءة محصورة بسبع روايات لسبعة من القراء لوجب أن لا يؤخذ عن كل واحد منهم إلاَّ رواية وهذا لا قائل به(*).

وينبغي أن لا يتوهم متوهم في قوله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» أنه منصرف إلى قراءة سبعة من القرّاء الذين وُلِدُوا بعد التابعين لأنه يؤدي أن يكون الخبر عارياً عن الفائدة إلى أن يُولد هؤلاء الأئمة السبعة فيؤخذ عنهم القراءة ويؤدي أيضاً إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلاَّ بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلّموا اختاروا القراءة به، وهذا تجاهل من قائله، قال: وإنما ذكرت ذلك لأن قوماً من العامة يقولونه جهلاً ويتعلقون بالخبر ويتوهمون أن معنى السبعة الأحرف المذكورة في الخبر اتباع هؤلاء الأئمة السبعة وليس ذلك على ما توهموه بل طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثقة لفظاً عن لفظ إماماً عن إمام إلى أن يتصل بالنبيّ ﷺ، والله أعلى وأعلم بجميع ذلك(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

وأما ما ذكره الإمام أبو محمد مكي في إبانته: من قراءات أخرى غير المنسوبة للقراء السبعة في سورة (الحمد) مما يوافق خط المصحف ويقرأ به، قرأ الحسن البصري بكسر الدال على الاتباع، وقرأ أبو حيوة (ملك) بالنصب على النداء من غير ألف، وقرأ علي بن أبي طالب (مَلَكَ يومَ) فنصب اللام والكاف ونصب يوم فجعله فعلاً ماضياً، وقرأ يحيى بن وثاب (نستعين) بكسر النون الأولى وهي لغة مشهورة حسنة. وروى الخليل بن أحمد عن ابن كثير (غير المغضوب) بالنصب ونصبه حسن على الحال أو على الصفة إلى غير ذلك من القراءات الواردة في سورة الحمد لغير القراء السبعة المشهورين.

قال: فهذا كله يوافق لخط المصحف والقراءة به لمن رواه عن الثقات جائزة لصحة وجهه في العربية وموافقته الخط إذا صح نقله.

(قلت): كذا اقتصر على نسبة هذه القراءات لمن نسبها إليه وقد وافقهم عليها غيرهم(*).

وبقيت قراءات أخرى عن الأئمة المشهورين في سورة (الفاتحة) توافق خط المصحف وحكمها حكم ما ذكر، ذكرها الإمام الصالح الولي أبو الفضل الرازي في كتاب «اللوائح» له: عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري (رب العالمين) بالرفع والنصب وحكاه عن العرب ووجهه أن النعوت إذا تتابعت وكثرت جازت المخالفة بينها فينصب بعضها بإضمار فعل، ويرفع بعضها بإضمار المبتدأ ولا يجوز أن ترجع إلى الجر بعدما انصرفت عنه إلى الرفع والنصب.

وعن عاصم الجحدري (مالك) بالرفع والألف منوناً ونصب (يوم الدين) بإضمار المبتدأ وإعمال، مالك في يوم، وعن بعض أهل مكة (نعبد) بإسكان الدال ووجهها التخفيف كقراءة أبي عمرو (يأمركم) بالإسكان وقيل: إنها عندهم رأس آية فنوى الوقف للسنة وحمل الوصل على الوقف.

(*) نفس المصدر السابق ص ٤٨ وما بعدها.

وعن عمر رضي الله عنه (غير المغضوب) بالرفع أي هم غير المغضوب، أو أولئك، ومنها (يُعْبَد) بالياء وضمها وفتح الباء مبنيّاً للمجهول وتوجّه على الاستعارة والالتفات.

إلى غير ذلك من القراءات الواردة في سورة (الفاتحة) لغير القراء السبعة المشهورين(*).

هذا والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل....

وأما حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي ﷺ وفائدته: فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوّع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1]، وقد تدبّرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى واحد.

الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

فأما الأول فكالاختلاف في (الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط.

وأما الثاني فنحو: (مالك، وملك) في الفاتحة لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه. وكذا (يكذبون، ويكذبون) بالتخفيف والتشديد لأن المراد بهما هم المنافقون لأنهم يكذّبون النبي ﷺ ويَكْذِبُون في أخبارهم. وكذا (كيف ننشرها) بالراء والزاي لأن

(*) انظر النشر في القراء العشر للحافظ ابن الجزري جـ ١ ص ٥٠ وما بعدها.

(١) سورة النساء: الآية (٨٢).

المراد بهما هي العظام وذلك أن الله أنشرها أي أحياها، وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين.

وأما الثالث فنحو: (وظنوا أنهم قد كذبوا) بالتشديد والتخفيف، وكذا (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى، وبكسر الأول ونصب الثانية، وكذا (للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) بالتسمية والتجهيل، وكذا قال: (لقد علمت) بضم التاء وفتحها وكذلك ما قرىء شاذاً: (وهو يطعم ولا يطعم) عكس القراءة المشهورة (يطعم ولا يطعم) على التسمية فيهما فإن ذلك كُلَّهُ وإن اختلف لفظاً ومعنى وامتنع اجتماعه في شيء واحد فإنه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد والتناقض.

فأما وجه تشديد (كذبوا) فالمعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، ووجه التخفيف وتوهَّم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به فالظن في الأولى يقين والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم[*].

وأما وجه فتح اللام الأولى ورفع الثانية من (لتزول) فهو أن يكون أن مخففة من الثقيلة أي وإن مكرهم كان من الشدّة بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها وفي القراءة الثانية: إن نافية أي ما كان مكرهم وإن تعاظم وتفاقم ليزول منه أمر محمد ﷺ ودين الإسلام، ففي الأولى تكون الجبال حقيقة، وفي الثانية مجازاً.

وأمّا وجه (من بعد ما فتنوا) فعلى التجهيل فهو أن الضمير يعود للذين هاجروا، وفي التسمية يعود إلى الخاسرون[*].

وأمّا وجه ضم تاء علمت فإنه أسند العلم إلى موسى حديثاً منه لفرعون حيث قال: (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) فقال موسى

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

على نفسه: (لقد علمتُ ما أنزل هؤلاء إلاَّ ربّ السموات والأرض بصائر) فأخبر موسى عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك أي أن العالم بذلك ليس بمجنون، وقراءة فتح التاء أنه أسند هذا العلم لفرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع لشدّة معاندته للحق بعد علمه، وكذلك وجه قراءة الجماعة: (يُطْعِمُ) بالتسمية (ولا يُطْعَمُ) على التجهيل أن الضمير في وهو يعود إلى الله تعالى، أي والله تعالى يرزق الخلق ولا يرزقه أحد. والضمير في عكس هذه القراءة يعود إلى الولي أي والوليّ المتخذ يرزق ولا يرزق أحداً والضمير في القراءة الثالثة إلى الله تعالى، أي والله يُطْعِمُ من يشاء ولا يطعم من يشاء، فليس في شيء من القراءات تنافٍ ولا تضاد ولا تناقض وكل ما صح عن النبيّ ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله ولم يسع أحداً من الأمة ردُّه ولزم الإيمان به وأن كله منزل من عند الله إذ كلّ قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى عِلْماً وعملاً لا يجوز ترك موجب أحدهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض وإلى ذلك أشار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: «لا تختلفوا في القرآن ولا تتنازعوا فيه فإنه لا يختلف ولا يتساقط، ألا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة، حدودها وقراءتها وأمر الله فيها واحد، ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله، ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله»(*).

قلت: وإلى ذلك أشار النبي ﷺ حيث قال لأحد المختلفين: «أحسنت»، وفي الحديث الآخر: «أصبت»، وفي الآخر: «هكذا نزلت»، فَصَوَّبَ النبيّ ﷺ قراءة كل من المختلفين وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله وبهذا افترق اختلاف القرّاء من اختلاف الفقهاء فإن اختلاف القرَّاء كله حق وصواب نزل من عند الله وهو كلامه لا شك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي والحق في نفس الأمر فيه واحد فكل مذهب بالنسبة إلى

(*) نفس المصدر السابق ص ٥٢.

الآخر صواب يحتمل الخطأ وكلٌّ قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر نقطع بذلك ونؤمن به، ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به، وملازمة له وميلاً إليه، لا غير ذلك.

وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارىء وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به، فآثره على غيره، وداوم عليه ولازمه حتى اشتهر وعرف به، وقُصِدَ فيه، وأُخِذَ عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد.

هذا والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل.

فوائد اختلاف القراءات:

وفي اختلاف القراءات وتنوعها مع السلامة من التضاد والتناقض فوائد غير ما تقدم من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة منها(*):

١ - بيان حكم مجمع عليه كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره: (وله أخ أو أخت من أمّ) فإن هذه القراءة تبيّن أن المراد بالإخوة هنا هو الإخوة للأم، وهذا أمر مجمع عليه، ولذلك اختلف العلماء في المسألة المشتركة وهي: زوج وأمّ أو جدّة واثنان من إخوة الأمّ وواحد أو أكثر من إخوة الأب والأمّ، فقال الأكثر من الصحابة وغيرهم بالتشريك بين الإخوة لأنهم من أمّ واحدة، وهو مذهب الشافعي ومالك وإسحاق وغيرهم.

وقال جماعة من الصحابة وغيرهم بجعل الثلث لإخوة الأمّ ولا شيء لأخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه الثلاثة وأحمد بن حنبل وداود الظاهري وغيرهم.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

٢ - ترجيح حكم اختلف فيه كقراءة: (أو تحرر رقبة مؤمنة) في كفارة اليمين ففيها ترجيح لاشتراط الأيمان فيها كما ذهب إليه الشافعي وغيره، ولم يشترطه أبو حنيفة.

٣ - الجمع بين حكمين مختلفين كقراءة: (يطهرون ويطهرن) بالتخفيف والتشديد فينبغي الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال(*).

٤ - اختلاف حكمين شرعيين كقراءة: (وأرجلكم) بالخفض والنصب فإن الخفض يقتضي فرض المسح والنصب يقتضي فرض الغسل فبيَّنهما النبي ﷺ فجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره، ومن ثم وهم الزمخشري حيث حمل اختلاف القراءتين في (إلا امرأتك) رفعاً ونصباً على اختلاف قولي المفسرين والنحاة.

٥ - إيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه كقراءة: (فامضوا إلى ذكر الله) فإن قراءة: (فاسعوا) يقتضي ظاهرها المشي السريع وليس كذلك فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لِمَا يتوهم منه.

٦ - تفسير لِمَا لعله لا يعرف مثل قراءة: (كالصوف المنفوش).

٧ - ما يكون حجة لأهل الحق ودفعاً لأهل الزيغ كقراءة: (ومَلِكاً كبيراً) بكسر اللام وردت عن ابن كثير وغيره وهي من أعظم دليل على رؤية الله في الدار الآخرة.

٨ - ما يكون حجة لترجيح قول بعض العلماء كقراءة: (أو لمستم النساء) إذ اللمس يطلق على الجس والمس، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي مسّوه، ومنه قوله ﷺ: «لعلك قبّلت أو لمست».

ومنه قول الشاعر:

(*) وانظر تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي المشهور بالخطاط ص ٢٢١ وما بعدها. طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: الطبعة الثانية سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣ م.

لمست بكفي كفّه أبتغي الغنا ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلف ما عندي(*)

٩ ـ ما يكون حجة لقول بعض أهل العربية كقراءة: (والأرحام) بالخفض (وليجزي قوماً) على ما لم يسمى فاعله مع النصب(*).

١٠ ـ التهوين والتيسير والتخفيف على الأمة التي تعددت قبائلها واختلفت لهجاتها وتباين أداؤها في النطق بالكلمات القرآنية.

١١ ـ ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، جمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، وإذْ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل.

١٢ ـ ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كله يصدِّق بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق مَن جاء به ﷺ(*).

١٣ ـ سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جُمَلاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفات ـ لا سيما ـ فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً(*).

١٤ ـ إعظام أجور هذه الأمة من حيث أنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا

(*) نفس المصدر السابق ص ٢٩ وما بعدها.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) انظر النشر في القراءات العشر تأليف المحقق ابن الجزري جـ ١ ص ٥٢ وما بعدها.

(*) وانظر روائع البيان في علوم القرآن تأليف صابر حسن محمد أبو سليمان ص ٩٣.

قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته، وإمعانهم النظر وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح، التفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ...﴾ الآية، والأجر على قدر المشقة.

١٥ ـ بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وبيان صوابه، وتحرير تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً ولا تفخيماً ولا ترقيقاً، حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الإمالات وميَّزُوا بين الحروف والصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلاّ بإلهام باريء النسم(*).

١٦ ـ ما ادخره الله تعالى من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السند الإلّهي بسندها خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة المحمدية، وإعظاماً لقدر أهل هذه الملَّة الحنيفية وكل قاريء يوصل حروفه بالنقل إلى أصله، ويرفع ارتياب الملحد قطعاً بوصله، فلو لم يكن من الفوائد إلاّ هذه الفائدة الجليلة لكفت، ولو لم يكن من الخصائص إلاَّ هذه الخصيصة النبيلة لوفَّت.

١٧ ـ ظهور سر الله تعالى في تولية حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز فإن الله تعالى لم يخل عصراً من الأعصار، ولا في قطر من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته، يكون وجوده سبباً

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

لوجود هذا السبب القويم على ممر الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور(*).

وقد خص الله تعالى هذه الأمة في كتابهم هذا المنزل على نبيهم ﷺ بما لم يكن لأمة من الأمم في كتبها المنزلة فإنه سبحانه وتعالى تكفل بحفظه دون سائر الكتب ولم يكفل حفظه إلينا، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ وذلك إعظام لأعظم معجزات النبي ﷺ لأن الله تعالى تحدّى بسورة منه أفصح العرب لساناً وأعظمهم عناداً وعتوّاً وإنكاراً فلم يقدروا على أن يأتوا بآية مثله، ثم لم يزل يتلى آناء الليل وآناء النهار مع كثرة الملحدين وأعداء الدين، ولم يستطع أحد منهم معارضة شيء منه، وأي دليل على صدق نبوته ﷺ أعظم من هذا؟.

وأيضاً فإن علماء الأمة لم تزل من الصدر الأول لآخر وقت تستنبط منه الأدلة والحجج والبراهين والحكم وغيرها ما لم يطلع عليه متقدم ولا ينحصر لمتأخر، بل هو البحر العظيم الذي لا قرار له ينتهي إليه، ولا غاية لآخره يوقف عليه(*).

ومن ثم لم تحتج هذه الأمة إلى نبيّ بعد نبيها ﷺ كما كانت الأمم قبل ذلك لم يخل زمان من أزمنتهم عن أنبياء يُحَكِّمُون أحكام كتابهم ويهدونهم إلى ما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾[1] الآية، فوكل حفظ التوراة إليهم، ولهذا دخلها بعد أنبيائهم التحريف والتبديل، ولمّا تكفل الله تعالى بحفظه خص به من شاء من بريّته وأورثه من اصطفاه من خليقته، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ..﴾[2] الآية.

(*) نفس المصدر السابق ص ٥٤.

(*) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي المشهور بالخطاط جـ ١ ص ٢٢٣ وما بعدها.

(١) سورة المائدة: الآية (٤٤).

(٢) سورة فاطر: الآية (٣٢).

وقال ﷺ: «إن لله أهلين من الناس»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» رواه ابن ماجه وأحمد والدّارمي وغيرهم من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات، ا.هـ.

أئمة القراءات السبع:

(الأول): الإمام أبو عبد الرحمن نافع بن أبي نعيم المدني رحمه الله، وبه بدأ ابن مجاهد: قرأ على سبعين من التابعين.

وقال فيه الإمام مالك بن أنس وصاحبه عبد الله بن وهب: قراءة نافع سُنة. وقال الليث بن سعد إمام أهل مصر: حججت سنة ثلاث عشر ومائة، وإمام الناس في القراءة يومئذ نافع بن أبي نعيم. وقال: أدركت أهل المدينة وهم يقولون: قراءة نافع سُنة. توفي سنة ١٦٩ هـ تسع وستين ومائة(*).

(الثاني): عبد الله بن كثير المكي، رحمه الله: قرأ على مجاهد وغيره من التابعين، وقيل: إنه قرأ على عبد الله بن السائب المخزومي، وله صحبة.

وقرأ عليه جماعة من أئمة البصرة مع جلالتهم، كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد، وحماد بن أبي سلمة، وابن زيد. وحديثه مخرج في الصحيحين.

ونقل الإمام الشافعي قراءته وأثنى عليها، وقرأ على صاحبه إسماعيل ابن قسطنطين قارىء أهل مكة، وقال: قراءتنا قراءة عبد الله بن كثير وعليها وجدت أهل مكة، من أراد التمام فليقرأ لابن كثير. مات بمكة سنة ١٢٠ عشرين ومائة.

(الثالث): أبو عمرو بن العلاء البصري، أغزرهم عِلْماً، وأثقبهم فهماً، قرأ على جماعة جِلّة من التابعين، من أهل الحجاز والعراق، كمجاهد، وعطاء، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ويحيى بن يعمر، وأبي العالية، واشتهرت قراءته في البلاد.

(*) انظر القراءات واللهجات لمؤلفه عبد الوهاب حمودة أستاذ مساعد بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول ص ٢١٧ وما بعدها. طبع مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى.

وقال أحمد بن حنبلٍ في إحدى الروايات عنه: قراءة أبي عمرو أحبُّ القراءات إلـيّ، هي قراءة قريش، وقراءة الفصحاء. مات أبو عمرو سنة ١٤٨ أو ١٥٤ أو ١٥٥ أو ١٥٧ هـ(*).

(الرابع): عبد الله بن عامر الدمشقي، هو أسن القرّاء السبعة، وأعلاهم إسناداً: قرأ على جماعة من الصحابة، حتى قيل: إنه قرأ على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنه ولد في حياة النبي ﷺ. ومِمَّن قرأ هو عليه من الصحابة: معاوية، وفضالة بن عبيد، وواثلة بن الأسقع، وأبو الدرداء رضي الله عنهم. فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر وقام مقامه، واتخذه أهل الشام إماماً، وحديثه مخرَّج في صحيح مسلم، ومن رواته الآخذين عن أصحاب أصحابه: هشام بن عمّار أحد شيوخ أبي عبد الله البخاري. مات سنة ١١٨ هـ عن تسع وتسعين سنة.

(الخامس): أبو بكر عاصم بن أبي النَّجود الكوفي: قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وزِرّ بن حُبيش، وكانا من أصحاب عثمان، وعلي، وابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، على تفصيل في ذلك، وجلس عاصم للإقراء بعد وفاة أبي عبد الرحمن السلمي في موضعه. جمع بين الفصاحة والإتقان، والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان من التابعين(*).

روى عن أبي رمثة رفاعة بن يثربي التميمي والحارث بن حسّان البكري، وكانت لهما صحبة. روى القراءة عنه أبان بن تغلب، وأبان بن يزيد العطّار، وحفص بن سلمان، وحماد بن سلمة، وحماد بن يزيد، وسليمان بن مهران الأعمش، وأبو بكر بن عياش، والضحّاك بن ميمون، وخلق لا يحصون.

وروى عنه حروفاً من القرآن أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد،

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

وحمزة الزيات، وقال حفص: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها في القراءة التي أقرأ بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ، وما كان من القراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زِرّ بن حبيش عن ابن مسعود. وقال عبد الله بن أحمد ابن حنبل: سألت أبي عن عاصم فقال: رجل صالح خيِّر ثقة، فسألته: أيُّ القراءتين أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، فإن لم تكن فقراءة عاصم.

قال ابن الجزري في (طبقات القرّاء)[1]: ووثقه أبو زرعة وجماعة. وقال أبو حاتم: محله الصدق، وحديث مخرّج في الكتب الستة.

وقال أبو بكر بن عياش: كان الأعمش وعاصم وأبو حسين كلهم لا يبصرون.

وقال أبو بكر بن عياش: دخلت على عاصم وقد احتضر، فجعلت أسمعه يردّدُ هذه الآية يحققها حتى كأنه يصلّي: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ وفي رواية أنه قرأ: «ثم رِدُّوا» بكسر الراء، وهي لغة هذيل ولكنها لم تشتهر كاشتهار قراءة الضم. توفي سنة (١٢٧ هـ) سبع وعشرون ومائة بالكوفة. وقال الأهوازي: بالسماوة، وهو يريد الشام، ودفن بها.

(السادس): أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم: أخذ القراءة عَرْضاً عن سليمان الأعمش، وحمران بن أعين، وأبي إسحاق السبيعي، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وطلحة بن مصرف.

وكان الأعمش يجوّد حرف ابن مسعود، وكان ابن أبي ليلى يجوّد حرف عليّ، وكان أبو إسحاق يقرأ من هذا الحرف ومن هذا الحرف، وكان حمران يقرأ قراءة ابن مسعود ولا يخالف مصحف عثمان. قرأ عليه وروى القراءة عنه إبراهيم بن أدهم، وإبراهيم بن إسحاق، وسليم بن عيسى، وهو أضبط أصحابه، وسفيان الثوري، وشريك بن عبد الله، وشعيب بن حرب،

---

(١) ١/٣٤٨/ طبقات القرّاء.

وزكريا بن يحيى، وعلي بن صالح، وجرير بن عبد الحميد، ويحيى بن المبارك اليزيدي، وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش. وكان إماماً حجة ثقة ثبتاً، قيّما بكتاب الله، بصيراً بالفرائض، عارفاً بالعربية، حافظاً للحديث، عابداً خاشعاً زاهداً، ورِعاً قانتاً لله لم يكن له نظير، وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، ويجلب الجوز والجبن إلى الكوفة.

وقال سفيان الثوري: ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلاّ بأثر، وكان شيخه الأعمش إذا رآه قد أقبل يقول: هذا حبر القرآن.

قال ابن الجزري[1]: وأما ما ذكر عن عبد الله بن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة، فإن ذلك محمول على قراءة من سمعا منه ناقلاً عن حمزة، وما آفة الأخبار إلاّ رواتها.

قال ابن مجاهد: قال محمد بن الهيثم: والسبب في ذلك أن رجلاً مِمَّن قرأ على سليم حضر مجلس ابن إدريس فقرأ فسمع ابن إديس ألفاظاً فيها إفراط في المدِّ والهمز وغير ذلك من التكلّف، فكرِه ذلك ابن إدريس وطعن فيه.

قال محمد بن الهيثم: وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه. قال ابن الجزري: أمّا كراهة الإفراط من ذلك فقد روينا عنه من طرق أنه يقول لمن يفرط عليه في المد والهمز: لا تفعل، أمَا علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق الجعودة فهو قطط، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة.

قال يحيى بن معين: سمعت محمد بن فضيل يقول: ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة. توفي سنة (١٥٦ هـ) ست وخمسين ومائة.

(السابع): عليّ بن حمزة أبو الحسن الكسائي، الإمام الذي انتهت إليه رئآسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات(*).

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢١٩ وما بعدها.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

أخذ القراءة عَرْضاً[1] عن حمزة أربع مرات وعليه اعتماده بعد الله عز وجلّ، وعن محمد بن أبي ليلى وعيسى بن عمر الهمذاني، وروى الحروف عن أبي بكر بن عيّاش، وإسماعيل ويعقوب ابنيْ جعفر عن نافع، وعن المفضل بن محمد الضبي، ورحل إلى البصرة فأخذ اللغة عن الخليل.

أخذ عنه القراءة عَرْضاً وسماعاً إبراهيم بن زاذان، وحفص بن عمر الدوري، وحمدويه بن ميمون، وعبد الله بن أحمد بن ذكوان، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وقتيبة بن مهران.

وروى عنه غير ما تقدم من الأئمة الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين. وقال: «ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي».

وقال الشافعي رحمه الله: «مَنْ أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي».

وقال الفضل بن شاذان: لما عرض الكسائي على حمزة خرج إلى البدو فشاهد العرب، وأقام عندهم حتى صار كواحد منهم، ثم دنا إلى الحضر وقد علم اللغة.

وقال أبو عبيد في كتاب القراءات: كان الكسائي يتخير القراءات، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً، وكان من أهل القراءة، وهي كانت علمه وصناعته، ولم يجالس أحداً كان أضبط ولا أقوم منه. توفي سنة (١٨٩ هـ) تسع وثمانين ومائة[*].

إن لكل واحد من هؤلاء الأئمة السبعة رواة كثيرين من أهل الديانة والأمانة والضبط والإتقان، إلاّ أن ابن مجاهد اقتصر منهم على راويين، وهو ما شاع في الكتب وعرف كما في الشاطبية، والتيسير، والنشر، وغيرها، وبعض هؤلاء الرواة يروون عن إمامهم مباشرة بدون واسطة، وبعضهم يروي عن إمامه بواسطة.

---

(١) القراءة عرضاً هي قراءة الطالب على شيخ وهو ساكت يسمع، ويسمى هذا في اصطلاح علماء الحديث عرضاً. أما القراءة سماعاً فهو السماع من لفظ الشيخ نفسه.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

فنافع له راويان يرويان عنه بغير واسطة، أحدهما قالون، وثانيهما: ورش(*).

قالون: هو أبو موسى عيسى بن مينا المدني، ويلقب بقالون وهي كلمة رومية، يقولون للجيد من الأشياء: هو قالون، قيل: لقبه نافع بذلك لجودة قراءته. وقيل: لقبه بذلك مالك بن أنس. ومات سنة (٢٥٠ هـ) خمسين ومائتين بالمدينة المنوّرة.

وورش: هو عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش لقبه بذلك نافع أيضاً لبياضه.

وابن كثير له راويان يرويان عنه بوسائط:

أحدهما: **البزي**، وهو أحمد بن محمد المكي مؤذن المسجد الحرام أربعين سنة. وإنما قيل له البزي لأنه منسوب إلى جدّه أبي بزّة. قرأ البزي على جماعة منهم عكرمة بن سليمان، وقرأ عكرمة على شبل والقسط، وقرأ على ابن كثير. ومات البزي سنة (٢٥٥ هـ) خمس وخمسين ومائتين.

والثاني: **قنبل**، وهو أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد ويلقّب بقنبل. ويقال: رجل قنبل وقنابل. أي غليظ شديد، وقرأ قنبل على أبي الحسن القوّاس وابن فليح، وقرأ على أصحاب القسط، وقرأ على ابن كثير، وروي أن قنبلاً قرأ أيضاً على البزي، وهو في طبقة شيخيه المذكورين ومات قبل سنة (٢٩١ هـ) إحدى وتسعين مائتين.

وأبو عمرو بن العلاء له راويان يرويان عنه بواسطة يحيى بن المبارك اليزيدي وعرف باليزيدي لأنه كان منقطعاً إلى يزيد بن منصور خال المهدي يؤدِّب ولده، فنسب إليه، ثم اتصل بالرشيد فجعل المأمون في حجره يؤدِّبه. ومات في أيامه سنة (٢٠٢ هـ) اثنين ومائتين والراويان هما:

حفص أبو عمرو بن عمر الأزدي الدوري الضرير، نسبة إلى الدور، موضع ببغداد بالجانب الشرقي، مات سنة (٢٤٦ هـ) ست وأربعين ومائتين.

(*) نفس المصدر السابق ص ٢٢١ وما بعدها.

والثاني: السُّوسِيّ، أبو شعيب صالح بن زياد السُّوسي نسبة إلى سوس، موضع بالأهواز. ومات بالرقة، سنة (٢٦١ هـ) إحدى وستين ومائتين.

وابن عامر له راويان يرويان عنه بوسائط، إذ كل واحد منهما بينه وبين ابن عامر اثنان(*):

أحدهما: هشام بن عمار بن نصير السلمي، خطيب دمشق، أحد المكثرين الثقات. مات سنة (٢٤٦ هـ) ست وأربعين ومائتين. قرأ على أيوب بن تميم التميمي، وعراك بن خالد المري، وقرآ على يحيى بن الحارث الذماري، وقرأ يحيى على ابن عامر.

وأما ابن ذكوان فهو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الفهري، قرأ على أيوب بن تميم أيضاً، وكان يصلّي إماماً بجامع دمشق سوى الجمعة، ومات سنة (٢٤٢ هـ) اثنين وأربعين ومائتين.

وعاصم بن أبي النَّجُود الكوفي، له راويان أخذا عنه بدون واسطة:

أحدهما: حفص بن سليمان الأسدي الكوفي، مات سنة (١٨٠ هـ) ثمانين ومائة. قال أبو بكر الخطيب: كان المتقدِّمون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، ويصفونه بضبط الحرف الذي قرأ به على عاصم.

والثاني: أبو بكر شعبة بن عياش الكوفي الإمام العَلَم راوي عاصم، وكان من أئمة السنة. توفي سنة (١٩٣ هـ) ثلاث وتسعين ومائة.

وحمزة بن حبيب الزيات الكوفي، أخذ عن عاصم والأعمش وغيرهما وله راويان يرويان عنه بواسطة سُليم:

أحدهما: خلف بن هشام البزّار أحد الأئمة العشرة. مات ببغداد سنة (٢٢٩ هـ) تسع وعشرين ومائتين(*).

وثانيهما: خلاد بن خالد الكوفي، توفي سنة عشرين أو ثلاثين ومائتين.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٢٣.

والكسائي: أخذ عن حمزة وأبي بكر بن عياش وله راويان يرويان عنه بدون واسطة:

أحدهما: أبو الحارث الليث بن خالد، مات سنة (٢٤٠ هـ) أربعين ومائتين.

وثانيهما: أبو عمرو حفص بن عمر الدوري. وهو أحد الراويين عن أبي عمرو بن العلاء.

هذا والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل(*).

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.



الفصل الثامن

١ ـ الطرق الآخذون عن الرواة الثلاثة عشرة أو الأربعة عشرة.

٢ ـ تراجم الطرق.



الطرق الآخذون عن الرواة الثلاثة عشرة[1] أو الأربعة عشرة:

وهأنذا سأقتفي منهج المحقق ابن الجزري في ـ نشره ـ فأثبت عن كلِّ راوٍ طريقين، وعن كلِّ طريق طريقين رغبة في الاختصار وتحقيقاً للفائدة.

فأقول وبالله التوفيق:

فأما قالون فمن طريقي أبي نشيط والحلواني عنه. فأبو نشيط من طريقي.

ابن بويان والقزَّاز عن أبي بكر بن الأشعث عنه فعنه.

والحلواني من طريقي ابن أبي مهران وجعفر بن محمد عنه فعنه.

وأما ورش فمن طريقي الأزرق والأصبهاني، فالأزرق من طريقي إسماعيل النحاس وابن سيف عنه.

والأصبهاني من طريقي ابن جعفر والمطوعي عنه عن أصحابه فعنه.

وأما البزي فمن طريقي أبي ربيعة وابن الحباب عنه.

---

(١) على أساس تعيين كل واحد منهم على حِدَة، فدوري أبي عمرو هو نفسه الدوري عن الكسائي ولكنه بروايته عن أبي عمرو يسمى دوري أبي عمرو، وبروايته عن الكسائي يسمى دوري الكسائي وأما على اعتبار أنهم أربعة عشر راوياً فنتيجة لضرب الاثنين في سبعة فيكون العدد أربعة عشر إجمالياً. انظر النشر في القراءات العشر للمحقق ابن الجزري جـ ١ ص ٥٤ وما بعدها مكتبة الرياض الحديثة. وانظر روائع البيان في علوم القرآن تأليف صابر حسن محمد أبو سليمان المدرس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية أصول الدين ـ قسم القرآن وعلومه ص١٠٥ وما بعدها طبع المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

فأبو ربيعة من طريقي النقاش وابن بنان عنه فعنه.

وابن الحباب من طريقي ابن صالح وعبد الواحد بن عمر عنه فعنه.

وأما قنبل فمن طريقي ابن مجاهد وابن شنبوذ عنه.

فابن مجاهد من طريقي السَّامري وصالح عنه فعنه.

وابن شنبوذ عنه من طريقي القاضي أبي الفرج والشطوي عنه فعنه.

وأما الدوري فمن طريقي أبي الزعراء وابن فرح بالحاء عنه.

فأبو الزعراء من طريقي ابن مجاهد والمعدل عنه فعنه.

وابن فرح من طريقي ابن أبي هلال والمطوعي عنه فعنه.

وأما السُّوسي فمن طريقي ابن جرير وابن جمهور عنه.

فابن جرير من طريقي عبد الله بن الحسين وابن حبش عنه فعنه.

وابن جمهور من طريقي الشذائي والشنبوذي عنه فعنه.

وأما هشام فمن طريقي الحلواني عنه والداجوني عن أصحابه عنه.

فالحلواني من طريقي ابن عبدان والجمال عنه فعنه.

والداجوني من طريقي زيد بن علي والشذائي عنه فعنه.

وأما ابن ذكوان فمن طريقي الأخفش والصُّوري عنه.

فالأخفش من طريقي النقاش وابن الأخرم عنه فعنه.

والصوري من طريقي الرملي والمطوعي عنه فعنه.

وأما أبو بكر فمن طريقي يحيى بن آدم والعليمي عنه.

فابن آدم من طريقي شعيب وأبي حمدون عنه فعنه.

والعليمي من طريقي ابن خليع والرّزاز عن أبي بكر الواسطي عنه فعنه.

وأما حفص فمن طريقي عبيد بن الصباح وعمرو بن الصباح.

فعبيد من طريقي أبي الحسن الهاشمي وأبي طاهر عن الأشناني عنه فعنه.

وعمرو من طريقي الفيل وزرعان عنه فعنه(*).

وأما خلف فمن طرق ابن عثمان، وابن مقسم وابن صالح، والمطوعي أربعتهم عن إدريس عن خلف.

وأما خلاد فمن طرق: ابن شاذان، وابن الهيثم، والوزان، والطلحي، أربعتهم عن خلاد.

وأما أبو الحارث فمن طريقي محمد بن يحيى وسلمة بن عاصم عنه.

فابن يحيى من طريقي البطي والقنطري عنه فعنه.

وسلمة من طريقي ثعلب وابن الفرج عنه فعنه.

وأما الدوري فمن طريقي جعفر النصيبي وأبي عثمان الضرير عنه.

فالنصيبي من طريقي ابن الجلندا وابن ديزويه عنه فعنه.

وأبو عثمان من طريقي ابن أبي هاشم والشذائي عنه فعنه.

(*) نفس المصدر السابق ص ٥٦.

تــراجــم الطــــرق(*)

أبو نشيط:

كان ثقة ضابطاً مقرئاً جليلاً محققاً مشهوراً قال ابن أبي حاتم: صدوق سمعت منه مع أبي ببغداد. توفي سنة (٢٥٨ هـ) ثمان وخمسين ومائتين ووهم من قال غير ذلك.

الحلواني:

كان أستاذاً كبيراً إماماً في القراءات عارفاً بها ضابطاً لها لا سيما في روايتي قالون وهشام رحل إلى (قالون) إلى المدينة مرّتين وكان ثقة متقناً. توفي سنة (٢٥٠ هـ) خمسين ومائتين.

ابن بويان:

كان ثقة كبراً مشهوراً ضابطاً، وبويان بضم الباء الموحدة وواو ساكنة وياء آخر الحروف وكان ابن غلبون يقول فيه ثوبان بمثلثة ثم موحدة وهو تصحيف منه. توفي سنة (٣٤٤ هـ) أربع وأربعين وثلاثمائة.

القزّاز:

كان مقرئاً ثقة ضابطاً ذا إتقان وتحقيق وحذق توفي فيما أحسب قبل الأربعين وثلاثمائة.

ابن الأشعث:

كان إماماً ثقة ضابطاً لحرف قالون انفرد بإتقانه عن أبي نشيط. توفي ابن الأشعث قبيل الثلاثمائة فيما قاله الذهبي.

(*) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري جـ ١ ص ١١٣ وما بعدها.

ابن مهران:

كان مقرئاً ماهراً ثقة حاذقاً توفي سنة (٢٨٩ هـ) تسع وثمانين ومائتين للهجرة.

جعفر بن محمد:

كان قيّماً برواية قالون ضابطاً لها. توفي في حدود التسعين ومائتين.

الأزرق:

كان محققاً ثقة ذا ضبط وإتقان وهو الذي خلف ورشاً في القراءة والإقراء بمصر وكان قد لازمه مدّة طويلة، وقال: كنت نازلاً مع ورش في الدار فقرأت عليه عشرين ختمة من حدر وتحقيق، فأما التحقيق فكنت أقرأ عليه في الدار التي يسكنها وأما الحدر فكنت أقرأ عليه إذا رابطت معه بالإسكندرية، وقال أبو الفضل الخزاعي: أدركت أهل مصر والمغرب على رواية أبي يعقوب يعني الأزرق لا يعرفون غيرها توفي في حدود سنة (٢٤٠ هـ) أربعين ومائتين.

الأصبهاني(*):

كان إماماً في رواية ورش ضابطاً لها مع الثقة والعدالة رحل فيها وقرأ على أصحاب ورش وأصحاب أصحابه. ثم نزل ببغداد فكان أول من أدخلها العراق وأخذها الناس عنه حتى صار أهل العراق لا يعرفون رواية ورش من غير طريقه وذلك نسبت إليه دون ذكر أحد من شيوخه، قال الحافظ أبو عمرو الداني: هو إمام عصره في قراءة نافع رواية ورش عنه لم ينازعه في ذلك أحد من نظرائه وعلى ما رواه أهل العراق ومن أخذ عنهم إلى وقتنا هذا. توفي سنة (٢٩٦ هـ) ست وتسعين ومائتين.

النحاس:

كان شيخ مصر في رواية ورش محققاً جليلاً ضابطاً نبيلاً توفي فيما قاله الذهبي سنة بضع وثمانين ومائتين.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

ابن سيف:

كان إماماً في القراءة متصدراً ثقة انتهت إليه مشيخة الإقراء بالديار المصرية، بعد الأزرق وعمّر زماناً وقد غلط فيه ابنا غلبون فسمَّياه محمداً وهو عبد الله، توفي يوم الجمعة سلخ جمادي الآخرة سنة (٣٠٧ هـ) سبع وثلاثمائة بمصر.

هبة الله(*):

كان مقرئاً متصدراً ضابطاً مشهوراً قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي فيه: أحد من عني بالقراءات وتبحَّر فيها وتصدَّر للإقراء دهراً توفي قبل الخمسين وثلاثمائة فيما أحسب.

المطوعي:

كان إماماً في القراءات عارفاً بها ضابطاً لها ثقة فيها رحل فيها إلى الأقطار سكن إصطخر وألَّف وأثنى عليه أبو العلاء الهمذاني وغيره، توفي سنة (٣٧١ هـ) إحدى وسبعين وثلاثمائة وقد جاوز المائة سنة.

أبو ربيعة:

كان مقرئاً جليلاً ضابطاً وكان مؤذن المسجد الحرام بعد البزي. قال الداني: كان من أهل الضبط والإتقان والثقة والعدالة، توفي في رمضان سنة (٢٩٤ هـ) أربع وتسعين ومائتين.

ابن الحباب:

كان شيخاً متصدّراً في القراءة ثقة ضابطاً مشهوراً من كبار الحذاق والمحققين، توفي سنة (٣٠١ هـ) إحدى وثلاثمائة ببغداد.

النقاش(*):

كان إماماً كبيراً مقرئاً مفسّراً محدِّثاً اعتنى بالقراءات من صغره وسافر فيها الشرق والغرب وألف التفسير المشهور الذي سمّاه شفاء الصدور، وأتى فيه بغرائب، وألَّف أيضاً في القراءات. قال الداني: طالت أيامه فانفرد

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة ص ١١٥.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٢١ وما بعدها.

بالإمامة في صناعته مع ظهور نسكه وورعه وصدق لهجته وبراعة فهمه وحسن اطلاعه واتساع معرفته (قلت): من جملة من روى عنه شيخه ابن مجاهد في كتابه السبعة، توفي ثالث شوال سنة (٣٥١ هـ) إحدى وخمسين وثلاثمائة ومولده سنة (٢٦٦ هـ) ست وستين ومائتين.

ابن بُنان:

كان مقرئاً زاهداً عابداً صالحاً عالي الإسناد، وبنان بضم الباء الموحدة وبالنون. توفي سنة (٣٧٤ هـ) أربع وسبعين وثلاثمائة.

ابن صالح:

كان مقرئاً ثقة ضابطاً نزل بالرملة يقرىء بها حتى مات. توفي بعد الخمسين وثلاثمائة بالرملة فيما قاله الحافظ الذهبي.

عبد الواحد بن عمر:

كان إماماً جليلاً ثقة نبيلاً كبيراً مقرئاً نحويّاً حجة لم يكن بعد ابن مجاهد مثله، قال الخطيب البغدادي كان ثقة أميناً. توفي في شوال سنة (٣٤٩ هـ) تسع وأربعين وثلاثمائة وقد جاوز السبعين فيه.

ابن مجاهد(*):

وكان إليه المنتهى في زمانه في القراءة، وبُعد صيته في الأقطار ورحل إليه الناس من البلدان وازدحم الناس عليه وتنافسوا في الأخذ عنه حتى كان في حلقته ثلاثمائة متصدِّر وله أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس قبل أن يقرؤوا عليه وهو أول من سبَّع السبعة، وكان ثقة ديِّناً خيِّراً ضابطاً حافظاً ورِعاً. توفي في شعبان سنة (٣٢٤ هـ) أربع وعشرين وثلاثمائة ومولده سنة (٢٤٥ هـ) خمس وأربعين ومائتين.

أبو أحمد السامري:

وكان مقرئاً لغويّاً مسند القرَّاء في زمانه، قال الداني: مشهور ضابط ثقة مأمون غير أن أيامه طالت فاختل حفظه ولحقه الوهم وقلَّ من ضبط عنه

(*) نفس المصدر السابق ص ١٢٣.

ممن قرأ عليه في آخر أيامه. (قلت): وقد تكلم فيه وفي النقاش إلاّ أن الداني عدلهما وقبلهما وجعلهما من طرق التيسير وتلقى الناس روايتهما بالقبول ولذلك أدخلناهما كتابنا. توفي في المحرّم سنة (٣٨٦ هـ) ست وثمانين وثلاثمائة ومولوده سنة خمس أو ست وتسعين ومائتين.

صالح:

كان مقرئاً متصدِّراً حاذقاً عالي السند مشهوراً. توفي في حدود الثمانين وثلاثمائة.

ابن شنبوذ:

كان إماماً شهيراً وأستاذاً كبيراً ثقة ضابطاً صالحاً، رحل إلى البلاد في طلب القراءات واجتمع عنده منها ما لم يجتمع عند غيره، وكان يرى جواز القراءة بما صح سنده وإن خالف الرسم، وعقد له في ذلك مجلس وهي مسألة مختلف فيها ولم يعدّ أحد ذلك قادحاً في روايته، ولا وصمة في عدالته(*) توفي في صفر سنة (٣٢٨ هـ) ثمان وعشرين وثلاثمائة على الصواب.

القاضي أبو الفرج:

كان إماماً علاَّمة مقرئاً فقيهاً ثقة، قال الخطيب البغدادي: سألت البرقاني عنه فقال: كان أعلمَ الناس، وعن أبي محمد عبد الباقي، إذا حضر القاضي أبو الفرج فقد حضرت العلوم كُلُّهَا، ولو أوصى أحد بثلث ماله أن يدفع إلى أعلم الناس لوجب أن يُدفع إليه. توفي سنة (٣٩٠ هـ) تسعين وثلاثمائة عن خمس وثمانين سنة.

الشطوي:

كان أستاذاً مكثراً من كبار أئمة القراءة، جال البلاد ولقي الشيوخ وأكثر عنهم ولكنه اختص بابن شنبوذ وحمل عنه وضبط حتى نُسب إليه وقد

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

اشتهر اسمه وطال عمره فانفرد بالعلو مع علمه بالتفسير وعلل القراءات كان يحفظ خمسين ألف بيت شاهداً للقرآن، قال الداني: مشهور، نبيل، حافظ، ماهر، حاذق. توفي في صفر سنة (٣٨٨ هـ) ثمان وثمانين وثلاثمائة ومولده سنة (٣٠٠ هـ) ثلاثمائة.

أبو الزعراء(*):

كان ثقة ضابطاً محققاً، قال الداني: هو من أكبر أصحاب الدوري وأجلّهم وأوثقهم، توفي سنة بضع وثمانين.

ابن الفرح:

كان ثقة كبيراً جليلاً ضابطاً قرأ على الدوري بجميع ما قرأ به من القراءات وكان عالماً بالتفسير فلذلك عُرِفَ بالمفسِّر. وأبوه فرح بالحاء المهملة، وتقدمت وفاة ابن مجاهد في رواية قنبل. توفي ابن فرح في الحجة سنة (٣٠٣ هـ) ثلاث وثلاثمائة وقد قارب التسعين.

المعدل:

كان إماماً في القراءة ضابطاً ثقة، قال الداني: انفرد بالإمامة في عصره ببلده فلم ينازعه في ذلك أحد من أقرانه مع ثقته وضبطه وحسن معرفته. توفي في حدود الثلاثين وثلاثمائة أو بعدها.

ابن أبي بلال:

كان إماماً بارعاً انتهت إليه مشيخة العراق في زمانه وتقدمت وفاة المطوعي في رواية ورش. توفي في جمادى الأولى سنة (٣٥٨ هـ) ثمان وخمسين وثلاثمائة ببغداد.

ابن جرير:

وقال الذهبي: كان بصيراً بالإدغام ماهراً في العربية وافر الحرمة كثير الأصحاب. توفي حول سنة (٣١٦ هـ) ست عشرة وثلاثمائة. فيما قاله

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

الداني وأبو حيان وهو الأقرب، وقال الذهبي أيضاً: في حدود سنة (٣١٠ هـ) عشر وثلاثمائة.

ابن جمهور(*):

كان مقرئاً ثقة متصدِّراً قال الداني: هو كبير في أصحابهم ثقة مشهور، وتقدمت وفاة عبد الله بن الحسين وهو السَّامري في رواية قنبل. توفي ابن جمهور في حدود سنة (٣٠٠ هـ) ثلاثمائة فيما أحسب.

ابن حبش:

كان ثقة ضابطاً قال الداني: متقدِّم في علم القراءات مشهور بالإتقان ثقة مأمون توفي سنة (٣٧٣ هـ) ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

الشذائي:

كان إماماً في القراءات مشهوراً مقدَّماً مع الإتقان والضبط وتقدمت وفاة الشنبوذي في رواية قنبل مع وفاة شيخه ابن السلط وهو ابن شنبوذ توفي سنة (٣٧٠ هـ) سبعين وثلاثمائة فيما قال الداني، وقال الذهبي: سنة ثلاث، وقيل: سنة ست. وتقدَّمت وفاة الحلواني في رواية قالون.

الداجوني:

كان إماماً جليلاً كثير الضبط والإتقان والنقل ثقة، رحل إلى العراق وأخذ عن ابن مجاهد وأخذ عنه ابن مجاهد أيضاً، قال الداني: إمام مشهور ثقة مأمون حافظ ضابط. توفي في رجب سنة (٣١٤ هـ) أربع وعشرين وثلاثمائة برملة لِدِ عن إحدى وخمسين سنة.

ابن عبدان:

ذكره الحافظ أبو عمرو في تاريخه وقال: إنه من جزيرة ابن عمر أخذ القراءة عرضاً عن الحلواني عن هشام. توفي ابن عبدان بعيد الثلاثمائة فيما أظن وهو من رجال التيسير.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٤٥ وما بعدها.

الجمال:

كان ثبتاً محققاً أستاذاً ضابطاً قال الذهبي الحافظ: كان محققاً لقراءة ابن عامر، وتقدَّمت وفاة زيد في رواية الدوري وتقدمت وفاة الشذائي في رواية السُّوسي، توفي الجمال في حدود سنة (٣٠٠ هـ) ثلاثمائة.

الأخفش:

كان شيخ الإقراء بدمشق ضابطاً ثقة نحويّاً مقرئاً. قال أبو علي الأصبهاني كان من أهل الفضل صنف كتباً كثيرة في القراءات والعربية وإليه رجعت الإمامة في قراءة ابن ذكوان. وتقدمت وفاة النقاش في رواية البزي، توفي سنة (٢٩٢ هـ) اثنين وتسعين ومائتين بدمشق عن اثنين وتسعين سنة.

ابن الأخرم(*):

كان إماماً كاملاً ثبتاً رضيّاً ثقة أجل أصحاب الأخفش وأضبطهم، قال ابن عساكر الحافظ في تاريخه: طال عمره وارتحل الناس إليه وكان عارفاً بعلل القراءات بصيراً بالتفسير والعربية متواضعاً حسن الأخلاق كبير الشأن، توفي سنة (٣٤١ هـ) إحدى وأربعين وثلاثمائة بدمشق، وقيل: سنة (٤٢ هـ) اثنين وأربعين، ومولده سنة (٢٦٠ هـ) ستين ومائتين بقينية ظاهر دمشق.

الصوري:

كان شيخاً مقرئاً مشهوراً بالضبط معروفاً بالإتقان وتقدمت وفاة الرملي وهو أبو بكر الداجوني المذكور في رواية هشام إلاّ أنه مشهور في رواية ابن ذكوان من طريق الصوري بالرملي، وتقدمت وفاة المطوعي في رواية ورش، توفي الصوري سنة (٣٠٧ هـ) سبع وثلاثمائة بدمشق.

يحيى بن آدم:

كان إماماً كبيراً من الأئمة الأعلام حفاظ السُّنَّة توفي في النصف من شهر ربيع الآخر سنة (٢٠٣ هـ) ثلاث ومائتين.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

العليمي(*):

كان شيخاً جليلاً ثقة ضابطاً صحيح القراءة توفي سنة (٢٤٣ هـ) ثلاث وأربعين ومائتين، ومولده سنة (١٠٥ هـ) خمس ومائة.

شعيب:

كان مقرئاً ضابطاً عالماً حاذقاً موثقاً مأموناً، توفي سنة (٢٦١ هـ) إحدى وستين ومائتين.

أبو حمدون:

كان مقرئاً ضابطاً صالحاً ناقلاً، توفي في حدود سنة (٢٤٠ هـ) أربعين ومائتين.

أبو بكر الواسطي:

كان إماماً جليلاً ثقة ضابطاً كبير القدر ذا كرامات وإشارات حتى قالوا لولاه لما اشتهرت رواية العليمي، وقال النقاش: ما رأت عيناي مثله. وكان إمام الجامع بواسط سنين. وكان أعلى الناس إسناداً في قراءة عاصم، توفي سنة (٣٢٣ هـ) ثلاث وعشرين وثلاثمائة. مولده سنة (٢١٨ هـ) ثمان عشر ومائتين.

ابن خليع:

كان مقرئاً متصدّراً ثقة ضابطاً متقناً، توفي في ذي القعدة سنة (٣٥٦ هـ) ست وخمسين وثلاثمائة.

الرزاز:

كان مقرئاً متصدّراً معروفاً. توفي في حدود سنة (٣٦٠ هـ) ستين وثلاثمائة.

عبيد بن الصباح:

كان مقرئاً ضابطاً صالحاً. قال الداني: هو من أجلّ أصحاب حفص وأضبطهم، وقال الأشناني: قرأت عليه فكان من الورعين المتقنين، توفي سنة (٢٣٥ هـ) خمس وثلاثين ومائتين.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٥٦ وما بعدها.

عمرو بن الصباح(*):

كان مقرئاً ضابطاً حاذقاً من أعيان أصحاب حفص وقد قال غير واحد: إنه أخو عبيد، وقال الأهوازي وغيره: ليسا بأخوين بل حصل الاتفاق في اسم الأب والجد وذلك عجيب، ولكنه أبعد وتجاوز من قال هما واحد، توفي سنة (٢١١ هـ) إحدى وعشرين ومائتين.

الهاشمي:

كان شيخ البصرة في القراءة مع الثقة والمعرفة والشهرة والإتقان، رحل إليه أبو الحسن طاهر بن غلبون حتى قرأ عليه بالبصرة، وتقدمت وفاة أبي طاهر في رواية البزي، توفي سنة (٣٦٨ هـ) ثمان وستين وثلاثمائة.

الأشناني:

كان ثقة عدلاً ضابطاً خيراً مشهوراً بالإتقان وانفرد بالرواية، قال ابن شنبوذ: لم يقرأ على عبيد بن الصباح سواه، ولما توفي عبيد قرأ على جماعة من أصحاب حفص غير عبيد، توفي سنة (٣٠٧ هـ) سبع وثلاثمائة على الصحيح.

الفيل(*):

كان شيخاً ضابطاً ومقرئاً حاذقاً مشهوراً وإنما لقب بالفيل لعظم خلقه، توفي سنة (٢٨٩ هـ) تسع وثمانين ومائتين وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة ست.

زرعان:

كان من جلة أصحاب عمرو بن الصباح مشهوراً فيهم، ضابطاً محققاً متصدراً، توفي في حدود (٢٩٠ هـ) التسعين ومائتين.

إدريس:

كان إماماً ضابطاً متقناً ثقة روى عن خلف روايته واختياره، وسئل عنه الدارقطني فقال: ثقة وفوق الثقة بدرجة، وتقدمت وفاة ابن عثمان وهو ابن

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٥٨، ١٦٦ وما بعدها.

بويان في رواية قالون، توفي سنة (٢٩٢ هـ) اثنين وتسعين ومائتين عن ثلاث وتسعين سنة.

ابن مقسم:

وهو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن محمد بن سليمان بن داود بن عبيد الله بن مقسم، ومقسم هذا هو صاحب ابن عباس، وكان إماماً كبيراً في القراءات والنحو جميعاً، قال الداني: مشهور بالضبط والإتقان عالم بالعربية حافظة لِلُّغة، حسن التصنيف في علوم القرآن. توفي في ربيع الآخر سنة (٣٥٤ هـ) أربع وخمسين وثلاثمائة. ومولده سنة (١٦٥ هـ) خمس وستين مائة.

ابن صالح:

تلقن القرآن كله من إدريس، وكان من الضبط والإتقان بمكان وتقدَّمت وفاة المطوعي في رواية الأصبهاني، توفي في حدود (٣٤٠ هـ) الأربعين وثلاثمائة كما تقدم في رواية البزي.

ابن شاذان:

كان مقرئاً محدِّثاً راوياً ثقة مشهوراً حاذقاً متصدِّراً قال الدارقطني: ثقة، توفي سنة (٢٨٦ هـ) ست وثمانين ومائتين وقد جاوز التسعين عاماً.

ابن الهيثم(*):

كان قيِّماً بقراءة حمزة ضابطاً لها مشهوراً فيها حاذقاً، وقال الداني: هو أجلّ أصحاب خلاد توفي سنة (٢٤٩ هـ) تسع وأربعين ومائتين[1] وتوفي الوزان: قريباً من سنة (٢٥٠ هـ) خمسين ومائتين كذا قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي، وقال: هو أجل أصحاب خلاد.

(قلت): هو مشهور بالضبط والإتقان والحذق وعلى طريقة العراقيين قاطبة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(١) انظر النشر في القراءات العشر جـ ١ ص ١٦٦ وما بعدها.

الطلحي:

كان ثقة ضابطاً جليلاً متصدِّراً، توفي سنة (٢٥٢ هـ) اثنين وخمسين ومائتين.

محمد بن يحيى[*]:

كان شيخاً كبيراً مقرئاً متصدراً محققاً جليلاً ضابطاً، قال الداني: هو أجلّ أصحاب أبي الحارث توفي سنة (٢٨٨ هـ) ثمان وثمانين ومائتين.

البطي:

كان مقرئاً صادقاً متصدِّراً جليلاً. قال الداني: هو من أجلّ أصحاب محمد بن يحيى، توفي بعيد (٣٠٠ هـ) الثلاثمائة.

القنطري:

كان مقرئاً ضابطاً معروفاً مقصوداً مقبولاً توفي في حدود سنة (٣١٠ هـ) عشر وثلاثمائة.

ثعلب:

كان ثقة كبير المحل عالماً بالقراءات إمام الكوفيين في النحو واللغة. توفي في جمادى الأولى سنة (٢٩١ هـ) إحدى وتسعين ومائتين.

محمد بن الفرج:

كان مقرئاً نحويّاً عارفاً ضابطاً مشهراً توفي قبيل سنة (٣٠٠ هـ) ثلاثمائة.

جعفر بن محمد:

كان شيخ نصيبين في القراءة مع الحذق والضبط وهو من جلة أصحاب الدوري توفي بعد سنة (٣٠٧ هـ) سبع وثلاثمائة فيما قاله الذهبي.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٧٣.

ابن الجلندا:

كان مقرئاً متصدِّراً متقناً ضابطاً، قال الداني: مشهور بالضبط والإتقان، توفي سنة بضع وأربعين وثلاثمائة.

ابن ديزويه:

كان ثقة معروفاً راوياً شهيراً ذا ضبط وإتقان. توفي بعد الثلاثين وثلاثمائة.

أبو عثمان:

كان مقرئاً جليلاً ضابطاً. قال الداني: هو من كبار أصحاب الدوري وتقدمت وفاة أبي طاهر بن الهيثم في رواية حفص، وتقدمت وفاة الشذائي في رواية السُّوسي، توفي أبو عثمان بعد سنة (٣١٠ هـ) عشر وثلاثمائة في قول الذهبي.

الفصل التاسع

١ ـ الأئمة الثلاثة المتممون للعشرة.

٢ ـ الطرق الآخذون عن رواة الأئمة الثلاثة المتممون للعشرة.

٣ ـ تراجم الطرق الآخذون عن رواة الأئمة الثلاثة المتممون للعشرة.

* ـ خاتمة.



الأئمة الثلاثة المتممون للعشرة

وأما الأئمة الثلاثة المتممون للعشرة فهم(*):

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني مولى أبي الحرث المخزومي، كان تابعياً، انتهت إليه الرياسة في الإقراء بالمدينة بمسجد رسول الله ﷺ سنة ثلاث وستين، وكان من أجلّ شيوخ نافع، قرأ على مولاه عبد الله بن عيّاش، وعلى عبد الله بن عباس، وعلى أبي هريرة، وقرأ الثلاثة على أبي المنذر أُبيّ بن كعب، وقرأ أيضاً أبو هريرة وابن عباس على زيد بن ثابت، وقرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ، توفي بالمدينة سنة (١٢٨ هـ) ثمان وعشرين ومائة.

روى عنه عيسى بن وردان المدني كان رأساً في القراءة ضابطاً محققاً. توفي سنة (١٦٠ هـ) ستين ومائة، وروى عنه أيضاً ابن جماز، وهو سليمان بن مسلم الزهري المدني كان مقرئاً ضابطاً. وتوفي سنة (١٧٠ هـ) سبعين ومائة.

والإمام الثاني منهم: إمام البصرة **أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي** مولاهم البصري: كان إماماً في القراءة ثقة عالماً ديّناً صالحاً، انتهت إليه رياسة القراءة بعد أبي عمرو، وكان إمام جامع البصرة سنين، وأروى الناس بحروف القرآن وحديث الفقهاء، قرأ على أبي المنذر سلام بن أبي سليمان المدني الطويل، وعلى شهاب بن شُرْنَفَة المجاشعي البصري، وكان من جلّة المقرئين بعد أبي عمرو مع الثقة والصلاح، ومهدي

(*) نفس المصدر السابق ص ٢٢٥ وما بعدها.

ابن ميمون، وعلى أبي الأشهب جعفر بن أبي حبان العطاردي، وقيل: إنه قرأ على أبي عمرو نفسه، وقرأ سلام على عاصم وأبي عمرو وسندهما معروف، وقرأ شهاب على هارون بن موسى الأعور، وقرأ هارون على أبي عمرو بسنده، وعلى عاصم بن العجاج الجحدري، وقرأ عاصم على الحسن البصري وهو على أبي العالية، وهو على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه(*).

وقرأ ابو الأشهب على أبي رجاء عمران بن ملحان العطاردي البصري التابعي الكبير ولد قبل الهجرة بإحدى عشر سنة، وكان مخضرماً، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، وعرض القرآن على ابن عباس، وتلقَّنَهُ من أبي موسى، ولقي أبا بكر الصديق، وحدّث عن عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، وأبو موسى الأشعري وأبيّ وزيد وعمر على رسول الله ﷺ. توفي يعقوب الحضرمي سنة (٢٠٥ هـ) خمس ومائتين.

وروى عنه أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي المعروف برويس، وكان إماماً بالقراءة قيّماً بها ضابطاً مشهوراً حاذقاً. قال الداني: وهو من أحذق أصحاب يعقوب. توفي بالبصرة سنة (٢٣٨ هـ) ثمان وثلاثين ومائتين. وروى عنه أيضاً أبو الحسن روح بن عبد المؤمن بن عبدة بن مسلم الهذلي مولاهم البصري، وكان مقرئاً جليلاً، ثقة ضابطاً مشهوراً، أجلّ أصحاب يعقوب، وأوثقهم، روى عنه البخاري في صحيحه. توفي سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين.

والإمام الثالث منهم: **خلف بن هشام البزّار**، صاحب الاختيار، وهو راوي حمزة، وكان إماماً كبيراً، عالماً ثقة زاهداً عابداً، وكان له سعة في العلم والمال.

قال ابن الجزري في الدُّرَّة المضية: تتبعت اختياره فلم أجده يخرج عن قراءة الكوفيين في حرفٍ واحد، بل ولا عن حمزة والكسائي وأبي بكر،

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

إلاّ في حرفٍ واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ في سورة الأنبياء، قرأها حفص والجماعة بفتح الحاء والراء وإثبات ألف بعدها[1].

وروى عنه أبو العز القلانسي في إرشاده السكت بين السُّورتين فخالف الكوفيين.

قرأ على سليم صاحب حمزة، وعلى يعقوب بن خليفة الأعشى صاحب أبي بكر، وعلى أبي زيد سعيد بن أويس الأنصاري صاحب المفضل الضبي، وأبان العطّار، وقرأ أبو بكر والمفضل وأبان على عاصم الكوفي بسنده متصلاً إلى رسول الله ﷺ. وتوفي سنة (٢٢٩ هـ) تسع وعشرين ومائتين.

وروى عنه أبو يعقوب إسحاق بن إبرهيم بن عثمان بن عبد الله المروزي الورَّاق. كان ثقة منفرداً برواية خلف لا يعرف غيرها. توفي سنة (٢٨٦ هـ) ست وثمانين ومائتين. وروى عنه أيضاً أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحدّاد أيضاً، وكان إماماً متقناً ثقة، وروى عن خلف روايته واختياره. وسئل عنه الدارقطني فقال: ثقة وفوق الثقة بدرجة. توفي سنة (٢٩٢ هـ) اثنتين وتسعين ومائتين.

هذا والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل(*).

---

(١) وقرأها (خلف) بكسر الحاء وسكون الراء وحذف الألف.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

الطرق الآخذون عن
رواة الأئمة الثلاثة المتممون للعشرة

عيسى بن وردان: من طريقي الفضل بن شاذان، وهبة الله بن جعفر عن أصحابهما عنه(*).

فالفضل من طريقي ابن شبيب وابن هارون عنه عن أصحابه عنه.

وهبة الله من طريقي الحنبلي والحمامي عنه.

وأما ابن جماز: فمن طريقي أبي أيوب الهاشمي والدوري عن إسماعيل بن جعفر عنه فعنه.

فالهاشمي: من طريقي ابن رزين والأزرق الجمال عنه فعنه.

والدوري: من طريقي ابن النفاخ وابن نهشل عنه فعنه.

وأما رويس فمن طرق النخاس بالخاء المعجمة، وأبي الطيِّب وابن مقسم والجوهري أربعتهم عن التمار عنه.

وأما روح: فمن طريقي ابن وهب والزبيري عنه.

فابن وهب من طريقي المعدل وحمزة بن علي عنه فعنه.

والزبيري من طريقي غلام بن شنبوذ وابن حبشان عنه فعنه.

(*) نفس المصدر السابق ص ٥٦.

وأما **الورَّاق** فمن طريقي السُّوسنجردي وبكر بن شاذان عن ابن أبي عمر عنه.

ومن طريقي محمد بن إسحاق **الورَّاق** والبرصاطي عنه.

وأما **إدريس الحدَّاد** فمن طريقي الشطي والمطوعي وابن بُويان والقطيعي، والأربعة عنه.

هذا والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل.

تراجم الطرق الآخذون عن
رواة الأئمة الثلاثة المتممون للعشرة(*)

ابن شاذان: كان إماماً كبيراً ثقة عالماً. قال الداني: لم يكن في دهره مثله في علمه وفهمه وعدالته وحسن اطلاعه. توفي في حدود سنة (١٩٠هـ) تسعين ومائة.

ابن شبيب: كان شيخاً كبيراً مقرئاً متصدِّراً مشهوراً مشاراً إليه بالضبط والتحقيق والإتقان والحذق توفي سنة (٣١٢ هـ) اثنتي عشرة وثلاثمائة بمصر.

ابن هارون: كان مقرئاً جليلاً ضابطاً حاذقاً مشهوراً محققاً، توفي سنة بضع وثلاثين وثلاثمائة ببغداد.

هبة الله: كان مقرئاً حاذقاً ضابطاً مشهوراً بالإتقان والعدالة توفي قبيل الخمسين وثلاثمائة[1].

الحنبلي: كان مقرئاً متصدِّراً مقبولاً، توفي بعيد سنة (٣٩٠ هـ) تسعين وثلاثمائة فيما أظن.

الحمامي: كان شيخ العراق ومسند الآفاق مع الثقة والبراعة وكثرة الروايات والدين قال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان صدوقاً ديِّناً فاضلاً تفرّد بأسانيد القراءات وعلوها، توفي في شعبان سنة (٤١٧ هـ) سبع عشرة وأربعمائة عن تسعين عاماً.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٧٩ وما بعدها.

(١) النشر في القراءات العشر جـ ١ ص ١١٤.

الهاشمي: كان مقرئاً ضابطاً مشهوراً ثقة، كتب القراءة عن إسماعيل ابن جعفر.

ابن رزين(*): كان إماماً في القراءات كبيراً وثقة في النقل مشهوراً، له في القراءة اختيار رويناه عنه ومؤلفات مفيدة نقلت عنه، وروى عنه الأئمة والمقرئون وتقدمت وفاة الجمال في رواية هشام فارجع إليه إن شئت[1]. توفي ابن رزين سنة (٢٥٣ هـ) ثلاثة وخمسين ومائتين على الصحيح، وتقدمت وفاة الدوري في قراءة أبي عمر فارجع إليه إن شئت[2].

ابن النفاخ: كان ثقة مشهوراً صالحاً، قال ابن يونس: كان ثقة ثبتاً صاحب حديث مُقِلاًّ من الدنيا، توفي سنة (٣١٤ هـ) أربع عشرة وثلاثمائة بمصر.

ابن نهشل: كان إماماً في القراءة مجوداً فاضلاً ضابطاً. وكان إمام جامع أصبهان، توفي سنة (٢٩٤ هـ) أربع وتسعين ومائتين.

التمار: كان مقرىء البصرة وشيخها من أجلّ أصحاب رويس وأضبطهم قرأ عليه سبعاً وأربعين ختمة، توفي بعيد سنة ثلاثمائة. وقال الذهبي: بعد سنة عشر.

النخاس: كان ثقة مشهوراً ماهراً في القراءة قيّماً بها متصدِّراً من أجلِّ أصحاب التمار وقال الحسن بن الفرات: ما رأيت في الشيوخ مثله، توفي سنة (٦٨ هـ) ثمان وستين، وقيل: سنة (٣٦٦ هـ) ست وستين وثلاثمائة، ومولده سنة (٢٩٠ هـ) تسعين ومائتين.

أبو الحسن أحمد بن مقسم: وهو ولد أبي بكر محمد بن مقسم الذي تقدَّم في رواية خلف عن حمزة وكان قيّماً بالقراءة ثقة فيها ذا صلاح ونسك روى عنه الحافظ أبو نعيم وغيره أيضاً، توفي في سنة (٣٨٠ هـ) ثمانين وثلاثمائة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(١) من كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري جـ ١ ص ١٤٥.

(٢) من كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري جـ ١ ص ١٣٤.

الجوهري: هو بن حبشان أيضاً. كان مقرئاً معروفاً بالإتقان عارفاً بحرف يعقوب وغيره، توفي في حدود (٣٤٠ هـ) الأربعين وثلاثمائة أو بعدهما فيما أظن.

ابن وهب: كان إماماً ثقة عارفاً ضابطاً سمع الحروف من يعقوب ثم قرأ على رُوح ولازمه وصار أجلّ أصحابه. وأعرفهم بروايته، توفي في حدود سنة سبعين مائتين أو بعيدها.

المعدل: كان ثقة ضابطاً إماماً مشهوراً وهو أكبر أصحاب ابن وهب وأشهرهم، قال الداني: انفرد بالإمامة في عصره ببلده فلم ينازعه في ذلك أحد من أقرانه، مع ثقته وضبطه وحسن معرفته، توفي بعيد (٣٢٠ هـ) العشرين وثلاثمائة.

حمزة: والصواب أنه قرأ على ابن وهب نفسه كما قطع به الحافظ أبو العلاء الهمذاني وردَّ قول الهذلي أنه روى عنه بواسطة، توفي قبيل العشرين وثلاثمائة فيما أحسب(*).

الزبيري: كان إماماً فقيهاً مقرئاً ثقة كبيراً شهيراً وهو صاحب كتاب الكافي في الفقه على مذهب الإمام الشافعي. وتقدمت وفاة غلام بن شنبوذ وابن حبشان آنفاً، توفي سنة سبع وثلاثمائة. قال الذهبي: ويقال إنه بقي إلى سنة سبع عشرة، وقيل: توفي سنة عشرين.

ابن أبي عمر: كان مقرئاً كبيراً متصدِّراً صالحاً جليلاً مشهوراً نبيلاً، توفي سنة (٣٥٢ هـ) اثنين وخمسين وثلاثمائة.

السُّوسنجردي: كان ثقة ضابطاً متقناً مشهوراً، توفي في رجب سنة (٤٠٢ هـ) اثنين وأربعمائة عن نيف وثمانين سنة.

بكر ابن شاذان: كان ثقة واعظاً مشهوراً نبيلاً، توفي في شوال سنة (٤٠٥ هـ) خمس وأربعمائة.

(*) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

البرصاطي: كان مقرئاً حاذقاً ضابطاً معدلاً، توفي في حدود (٣٦٠ هـ) الستين وثلاثمائة.

الشطي: كان مقرئاً متصدِّراً ضابطاً متقناً مقصوداً شهيراً[١] وتوفي في حدود السبعين وثلاثمائة وتقدَّمت وفاة المطوعي في رواية ورش، وتقدَّمت وفاة ابن بُويان في رواية قالون[*].

القطيعي: كان ثقة راوياً مسنداً نبيلاً صالحاً انفرد بالرواية وعلو الإسناد. توفي سنة (٣٦٨ هـ) ثمان وستين وثلاثمائة[*].

فهذا ما تيسَّر لنا من أسانيد القراءات العشر من الطرق المذكورة. وإذا كان صحة السند من أركان القراءة الصحيحة تعيّن أن يُعْرَف حال رجال القراءات كما يعرف أحوال رجال الحديث، لا جرم اعتنى الناس بذلك قديماً، وحرص الأئمة ـ جزاهم الله خيراً عن القرآن وأهله خير الجزاء ـ على ضبطه ضبطاً عظيماً وأفضل مَنْ عَلِمْنَاه تعاطى ذلك وحققه، وقيد شوارده ومطلقه، إماما الغرب والشرق الحافظ الكبير الثقة ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ـ مؤلف التيسير وجامع البيان وتاريخ القرّاء وغير ذلك ومَنِ انتهى إليه تحقيق هذا العلم وضبطه وإتقانه ببلاد الأندلس والقطر الغربي، والحافظ الكبير، والحجة الثبت ـ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطّار الهمذاني ـ مؤلّف الغاية في القراءات العشر وطبقات القرّاء وغير ذلك ومَنِ انتهى إليه معرفة أحوال النقلة وتراجمهم ببلاد العراق والقطر الشرقي. ومَنْ أراد الإحاطة بذلك فعليه بكتاب «غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولي الرواية والدراية». وإنما ذكرت[٢] هذه الطرق وإن كنت خرجت عن مقصود الكتاب ليعلم مقدار علوّ الإسناد وأنه كما قال يحيى بن معين رحمة الله عليه: الإسناد العالي قربة إلى الله تعالى وإلى

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر جـ ١ ص ١٩٢.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٩٢ وما بعدها.

(*) نفس المصدر السابق ص ١٩٧ وما بعدها.

(٢) المحقق ابن الجزري في ـ نشره ـ.

رسوله ﷺ، وروينا عنه أنه قيل له في مرض موته: ما تشتهي؟ فقال: بيت خال وإسناد عال، وقال أحمد بن حنبل: الإسناد العالي سنة عن من سلف. وقد رحل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه من المدينة إلى مصر لحديث واحد بلغه عن مسلمة بن مخلد، ولا يقال إنما رحل لشكه في رواية من رواه له عنه فأراد تحقيقه لأنه لو لم يُصدِّق الرَّاوي لم يرحل من أجل حديثه، ولهذا قال العلماء: إن الإسناد خصِّيصة لهذه الأمة وسُنَّة بالغة من السنن المؤكدة، وطلب العلوّ فيه سُنَّة مرغوب فيها ولهذا لم يكن لأمة من الأمم أن تسند عن نبيها إسناداً متصلاً غير هذه الأمة والعلوّ ينقسم إلى خمسة أقسام.

أجلها القرب من رسول الله ﷺ، ومن ثم تداعت غبات الأئمة والنقاد، والجهابذة الحفاظ من مشايخ الإسلام إلى الرحلة إلى أقطار الأمصار، ولم يعدّ أحد منهم كاملاً إلاّ بعد رحلته، ولا وصل من وصل إلى مقصوده إلا بعد هجرته.

خاتمــة

الحمد لله على ما يسّره لي بمنه وجوده وإحسانه من إتمام كتابنا هذا الموسوم بـ أضواء البيان في تاريخ القرآن ـ وأسأل الله العلي القدير أن يرزقه القبول والرِّضا وأن ينفع به أهل القرآن العظيم في كل زمان ومكان، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثقل به موازين أعمالي، وسبباً في نجاتي من أهوال يوم الدين، وأن يغفر لي ولوالديّ ولمشايخي ولأصحاب الحقوق عليّ وجميع المسلمين. إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وهو حسبي وهو نعم الوكيل، وكان الفراغ من تأليفه يوم الخميس المبارك الموافق ٢٢ من شهر ذي القعدة سنة ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



نبذة تاريخية عن حياة المؤلف

* ولد المؤلف ببلدة سندبيس ـ مركز القناطر الخيرية ـ بنها ـ محافظة القليوبية.
* التحق بقسم القراءات بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر سنة ١٩٤٤م.
* حصل على إجازة (حفص) سنة ١٩٤٦م.
* حصل على الشهادة العالية في القراءات سنة ١٩٥٠م.
* حصل على شهادة تخصص القراءات وعلوم القرآن سنة ١٩٥٤ م وفي نفس السنة انتدب للتدريس بالمملكة العربية السعودية بمعهد عنيزة العلمي.
* انتدب للتدريس بالمملكة الليبية المتحدة، آنذاك، معهد سيدي عبد الوهاب الأسمري الإسلامي ـ فرع معهد محمد بن علي السنوسي الديني ـ مركز زليطن ـ ولاية طرابلس سنة ١٩٥٨م.
* عين مدرساً بمعهد كفر الشيخ الديني الإعدادي والثانوي بمصر محافظة كفر الشيخ ١٨/١١/١٩٦١م.
* انتدب للتدريس بالجمهورية العربية اليمنية ـ معهد تعز الديني سنة ١٩٦٤م.
* انتدب للتدريس بمعهد القراءات بالقاهرة سنة ١٩٧٠م.
* انتدب للتدريس بالجمهورية الجزائرية ـ معهد أدرار الإسلامي ـ محافظة بشار ـ ١٩٧١م.
* انتدب للتدريس ـ مرة أخرى ـ بالمملكة العربية السعودية ـ مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بالرياض ـ مكث بها خمس عشرة سنة.
* انتدب للتدريس بكلية إعداد المعلمين ـ شعبة علوم القرآن التابعة لوزارة المعارف بالرياض.

* عين مدرساً بكلية أصول الدين ـ قسم القرآن وعلومه ـ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
* شارك في دورة أئمة المساجد التابعة لوزارة الحج والأوقاف بالرياض.
* انتدب إمام وخطيب مسجد العبيكان بالرياض.
* عين إمام مسجد الرشودي بالرياض قرابة عشر سنوات.
* شارك في المراكز الصيفية لتحفيظ القرآن التابعة لوزارة المعارف بالرياض سنين عديدة. وكذا المركز الصيفي لتحفيظ القرآن ـ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ معهد إمام الدعوة العلمي بالرياض.
* شارك في دورة المعلمين بوزارة المعارف بالرياض.
* شارك في الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بالرياض إحدى وعشرون عاماً ولا يزال إلى الآن.
* شارك في برنامج نور على نور في إذاعة تعز بالجمهورية العربية اليمنية.
* شارك في التعليق في برنامج ناشىء في رحاب القرآن في إذاعة الرياض.
* اختير عضو تحكيم في مسابقة القرآن الكريم الثالثة ضمن نشاطات المهرجان الوطني العاشر والتي عقدت بمدينة الرياض في الفترة من ٢٣ إلى ٣٠/ ١٠/ ١٤١٥ هـ بالحرس الوطني.
* انتدب لتدريس علوم القرآن في الدورة التأسيسية للأئمة والخطباء بوزارة الشؤون الإسلامية فرع وزارة الأوقاف في القاعة الكبرى بمدينة الرياض في الفترة من ٢٨/٦ إلى ٨/٨/١٤١٧ هـ.

*** له مصنفات عدة:**

١ ـ أضواء البيان في تاريخ القرآن.

٢ ـ إرشاد المريد إلى علم التجويد.

٣ ـ غاية البيان في أمثال القرآن.

٤ ـ التيسير في القراءات السبع المشهورة وتوجيهها.

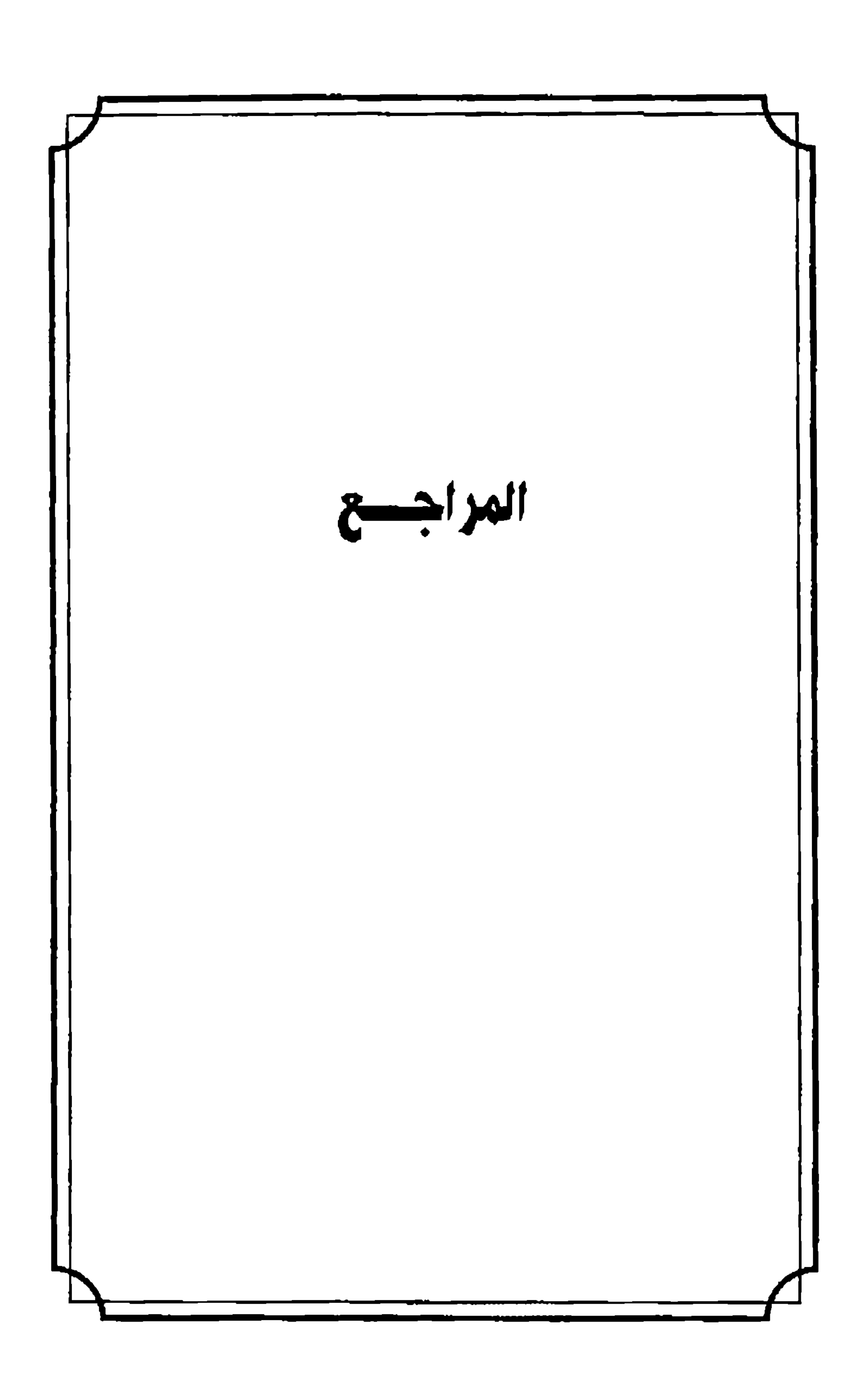
٥ ـ التبيان في أحكام تتعلق بالقرآن.

٦ ـ تبصرة المريد في علم التجويد.
٧ ـ الجوهر الفريد في علم التجويد.
٨ ـ روائع البيان في علوم القرآن.
٩ ـ عمدة البيان في تجويد القرآن.
١٠ ـ الفريد في علم التجويد.
١١ ـ كشف الضياء في تاريخ القراءات والقرّاء.
١٢ ـ مورد الظمآن في علوم القرآن.
١٣ ـ النجوم الزاهرة في تاريخ القرّاء الأربعة عشر ورواتهم وطرقهم.
١٤ ـ نهاية البيان في تجويد القرآن.
١٥ ـ كشف الغطاء في الوقف والابتداء.
١٦ ـ الدر الثمين في أصول التفسير ومناهج المفسّرين.
١٧ ـ رونق البيان ـ في إعجاز القرآن.
١٨ ـ الضوء اللاّمع في قراءة قالون وورش عن نافع.
١٩ ـ الطريق الواضح ـ في قراءة شعبة وحفص عن عاصم.
٢٠ ـ القراءات القرآنية ـ ومناهج القرّاء.
٢١ ـ هداية المريد في وجوب التجويد.
٢٢ ـ الكوكب المنير ـ في قراءة البزي وقنبل عن ابن كثير.
٢٣ ـ المقتبس في علوم القرآن.
٢٤ ـ القراء العشر ورواتهم ورجالهم وأسانيد قراءاتهم.
٢٥ ـ المنتقى في علوم القرآن.

هذا ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لأحب الأعمال إليه ولأنفع العلوم لديه، فإنه مالك ذلك والقادر عليه.

والله أعلى وأعلم وأحكم وأعدل.





المراجــع



المراجع

١ ـ **القرآن الكريم.**

٢ ـ **الإتقان في علوم القرآن:** شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ الطبعة الرابعة ـ سنة ٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

٣ ـ **أسرار التكرار في القرآن:** لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني.

٤ ـ **تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه:** تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الشهير بالخطاط ـ ط: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٥ ـ **تاريخ القرآن:** تأليف الدكتور عبد الصبور شاهين، ط: دارا لكتاب العربي بالقاهرة.

٦ ـ **روائع البيان في علوم القرآن:** تأليف صابر حسن محمد أبو سليمان المدرس في كلية أصول الدين ـ قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض، ط: المكتب الإسلامي ـ بيروت، لبنان ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧ ـ **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ:** للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ـ ط: المشهد الحسيني ـ القاهرة.

٨ ـ **الصارم المسلول على شاتم الرسول:** تأليف شيخ الإسلام المعروف بابن تيمية، تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد ـ ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة الطبع ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٩ ـ **قضية الإعجاز القرآني**: تأليف الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفه، ط: عالم الكتب ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٠ ـ **كتاب المصاحف**: للحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود بن سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٣١٦هـ ووقف على طبعه الدكتور: آثر جفري، ط: المطبعة الرحمانية بمصر ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٥٥هـ ـ ١٩٣٦م.

١١ ـ **القرآن واللهجات**: عبد الوهاب حمودة، ط: مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨م.

١٢ ـ **مورد الظمآن في علوم القرآن**: تأليف صابر حسن محمد أبو سليمان المدرس في كلية أصول الدين ـ قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض، ط: الدار السلفية بومباني ـ الهند، ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٣ ـ **النشر في القراءات العشر**: تأليف الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ هـ، بإشراف وتصحيح صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل علي محمد الضباع شيخ عموم المقاري بالديار المصرية سابقاً ـ مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة